

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

صدى الجامعة الإسلامية بالجزائر فيما بين 1900 – 1935

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إشراف الأستاذ :

* ناصر بلحاج

إعداد الطالبة :

* فاطمة حداد

لجنة القراءة والمناقشة

رئيسا

مشرفا ومقررا

مناقشا

1. د. م عبد الرؤوف ثامر

2. / ناصر بلحاج

3. د. م السعيد عقيب

السنة الجامعية : 1435/1434 هـ – 2014/2013 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

صدى الجامعة الإسلامية بالجزائر فيما بين 1900 – 1935

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إشراف الأستاذ :

* ناصر بلحاج

إعداد الطالبة :

* فاطمة حداد

لجنة القراءة والمناقشة

رئيسا

مشرفا ومقررا

مناقشا

1. د. م عبد الرؤوف ثامر

2. / ناصر بلحاج

3. د. م السعيد عقيب

السنة الجامعية : 1435/1434 هـ – 2014/2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّیْ بَعَارُ :

لَا تُرَادُّهُ فِي الدِّينِ قَدْرَ بَيْتِ الرَّاسِدِ

بِمَنْ لِّلْغِي فَسَّ يَكْفُرُ بِأَلْطَفِ خَوَارِجٍ وَتَوَائِمِ

بِأَلِیِّ فَقَدِ اسْتَسَدَّ بِأَلْعَرَاوَةِ التَّوَائِمِ

لِنَفْضِهَا هَا وَرَبِّیْ سَمِیعِ عَلِیِّ

شكراً واعترافاً

إذ كان ولا بد من الإعراف لذوي الفضل بفضلهم فإنه لا يسعني وأنا أضع اللمسات

الأخيرة على هذا البحث

أن أوجه شكري وتقديري وإمتناني إلى الأستاذ المشرف : الأستاذ ناصر بلحاج الذي

لم يدخر وسعا في إمدادي بكل ما أحتاج إليه من توجيه ونصائح ذللت لي

العديد من الصعاب.

فله مني جزيل الشكر والعرفان دام لنا ذخرا ومرشدا إلى سبيل العلم والرشاد.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لوالديّ الذين حثاني وشجعاني على مواصلة مسيرة هذه

الدراسة، على الرغم من العقبات التي واجهتني أثناء إعدادها

فلهما مني كل التقدير والإحترام.

كذلك أوجه جزيل شكري إلى كل أساتذتي في قسم التاريخ، وكذا كل من أعانني على

إتمام إنجاز هذا العمل.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ط	طبعة
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ نشر
ج	جزء
مج	مجلد
هـ	هجري
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
د م ن	دون مكان نشر
ج ع اـ م ج	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ح ع	الحرب العالمية
م	ميلادي
Op-Cit	Opera - Citato
P	Page

أَفْشَرُ
مَعْرِفَةٍ
أَفْشَرُ

مقدمة

أدت التحولات الاقتصادية والسياسية التي عرفتھا الدول الأوربية على إثر الثورة الصناعية، إلى اشتداد الحركة الإستعمارية التي شرعت في حملات توسعية إستهدفت عديد البلدان من العالم الإسلامي، وجعلت الخطر يهدد إستقلال أجزاء من الإمبراطورية العثمانية بعد أن وصل الأمر للإستيلاء على العديد من ولاياتھا، في الوقت الذي شهدت فيه الخلافة العثمانية تراجعاً على المستوى السياسي والعسكري وتأججت النزعة القومية في باقي إيلالاتھا، وفقدانھا للعديد من أجزاءھا في الجزء الأوربي، لقد دفعت خطورة تلك التطورات إلى بدء التحول التدريجي لفكرة الجامعة الإسلامية التي أجمعت على حركة التغيير والتجديد وخدمة العقل، ودعت إلى تضامن المسلمين وتوحيدهم في وجه التوسع الأوربي، والجزائر إقليم من العالم الإسلامي الذي لم يكن في معزل عن هذه التطورات، لذلك فمن الطبيعي أن تصل هذه الفكرة إلى مسامع الجزائريين، وعلى هذا الأساس جاء عنوان دراستي " صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر فيما بين 1900 - 1935 .

- دوافع إختيار الموضوع :

إن إختياري لهذا الموضوع يعود لعدة أسباب منها :

* الرغبة في التعرف على خباياه من خلال الوقوف على تأثير صحوة المشرق العربي ودعوة رواد الجامعة الإسلامية على الجزائر، وكذا التعرف على مدى تفاعل الجزائريين مع فكرة التضامن الإسلامي التي قامت عليها الجامعة الإسلامية، إضافة إلى ما ذكرت حفزني لإختيار هذا الموضوع قلة الدراسات حول صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر، فحسب علمي لم يخصص هذا الموضوع بالدراسة لحد الآن.

- أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة في الأساس إلى محاولة إبراز عمق الصلات الحضارية والفكرية والتاريخية بين الجزائر والمشرق العربي من جهة، ومن جهة أخرى المساهمة في تبليغ

رسالة التواصل التي تجمعنا بالأمة الإسلامية كأمة واحدة.

* محاولة إبراز جميع جوانب التفاعل بين الجزائر والدولة العثمانية في الفترة المعاصرة، وكذا رصد مبررات هذا التواصل في وقت كانت فيه الجزائر تحت وطأة الإستعمار الفرنسي، الذي حاول بإجراءاته التعسفية عزل الجزائر عن محيطها العربي والإسلامي.

* كما تهدف هذه الدراسة كذلك إلى إثراء المكتبة الجامعية بموضوع جديد، نساهم من خلاله في الدفع بالبحث العلمي في التخصص، بفتح آفاق بحثية جديدة.

- إشكالية الدراسة :

إن الإشكالية التي تثيرها هذه الدراسة تتمثل في التساؤلات التالية :

- إلى أي مدى تأثر الجزائريون بفكرة الجامعة الإسلامية فيما بين 1900 - 1935 ؟ وهل كان هذا التأثير يخص فئة معينة أم شمل كل فئات المجتمع الجزائري ؟ وماهي العوامل التي ساهمت في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر ؟ وكيف كان رد فعل سلطات الاحتلال على دعاية الجامعة الإسلامية بها ؟

- الحدود الزمنية للدراسة :

يبين الموضوع مدى الجامعة الإسلامية في الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1900 و 1935، وقد إخترت بداية القرن العشرين لأنه يمثل بداية مرحلة النهضة العامة في الجزائر، فعلى المستوى السياسي برزت مرحلة جديدة في مسيرة النضال بالانتقال إلى النضال السياسي المتفاعل مع موجة الإصلاح المتأججة بالعالم الإسلامي، خاصة بعد زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903، أما على المستوى الديني والثقافي فقد شهدت الجزائر بداية يقظة فكرية ساهم فيها الفكر العربي الإسلامي الوافد من المشرق العربي.

أما عام 1935 فهو تاريخ نهاية الفترة المدروسة بإعتباره تاريخ وفاة الشيخ محمد رشيد رضا أحد أهم أقطاب الجامعة الإسلامية الأوائل، ولأن فترة الثلاثينات عموما قد تميزت بإنشغال الجزائريين بمجريات الأحداث داخل القطر الجزائري.

- الدراسات السابقة :

إعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع التي يمكن تقسيمها إلى قسمين، أولها أساسية إستفدت منها كثيرا ورجعت إليها في معظم فصول وعناصر هذا البحث، وفي مقدمتها كتاب أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930 الجزء الثاني، والذي يعتبر أهم مرجع في هذا الموضوع حيث يدرس في ثناياه عنصر الجامعة الإسلامية، غير أن ما تناوله الكاتب جاء مختصرا، إضافة إلى توقفه في سنة 1911، ثم يأتي كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة بجزئييه الأول والثاني لصاحبه محمد علي دبوز، والذي يعد أبرز المصادر التي ركزت عليه في تحليل علاقة المصلحين بالعالم الإسلامي والسلطة الفرنسية في الجزائر، لكنه تناول فقط تأثير جريدة المنار على رواد الإصلاح وكذا أثر أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وثانيها ثانوية إستفدت منها في إحدى عناصر الدراسة من بينها كتاب الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 - 1914 لعلي المحافظة، وكتاب الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل لمحمد عمارة، وهي دراسات موضوعية تدرس الجامعة الإسلامية بمنهجية علمية معتمدة في عرض الفكرة على مصادر هامة منها الأعمال الكاملة لمحمد عبده و جمال الدين الأفغاني، هذا بالإضافة إلى كتاب تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا الذي إستفدت منه كثيرا فيما يتعلق بزيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903، حيث أكد لي العديد من المعلومات التي وجدتها في المراجع بإعتباره مصدر هام أرخ لكل ماله علاقة بفكرة الجامعة الإسلامية وقطبيها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، كما إستخدمت عدة مراجع أخرى كانت إستفادتي منها محدودة منها كتاب مقاربات في تاريخ الجزائر لمؤلفه إبراهيم مياسي، والذي يعتبر مرجعا مهما في تاريخ الجزائر لكن تناوله للموضوع كان

مختصرا جدا، هذا وإستندت إلى مجموعة من المقالات والموسوعات والدراسات الأكاديمية لإبعاد الغموض والإبهام عن إشكالية الدراسة، فإعتمدت على بعضها في جزئيات الموضوع، والبعض الآخر لشرح العديد من المصطلحات.

أما بخصوص الدراسات السابقة لهذا الموضوع فحسب إطلاعي لا توجد دراسات مطابقة ولا مشابهة له، ماعدا دراسة التليلي العجيلي صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876 - 1918، التي درست الموضوع من جانب واحد حيث ركز الكاتب في طرحه على الجانب السياسي لفكرة الجامعة الإسلامية ولم يتطرق لجانبها الفكري والديني، كذلك فإن مضمون الكتاب يركز على دراسة صدى الجامعة الإسلامية في البلاد التونسية إلا ما طرح عرضا عن الجزائر، وبالتالي فإن هذا الكتاب يقدم إشارات خفيفة فقط عن صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر وقد لاحظت أن ما قدمه إعتد فيه على كتابات أبي القاسم سعد الله.

- المنهج المتبع :

إعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي بطبيعة الحال، حيث عرض الأحداث والتغيرات التي شهدتها الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلى جانب اعتماد التحليل بالنسبة لمضمون بعض المقالات والإقتباسات للوصول إلى التأثير الذي أحدثته دعوة أقطاب الجامعة الإسلامية على الجزائريين ومدى تفاعلهم مع الأحداث التي تعرضت لها الدولة العثمانية في بداية القرن العشرين.

- تقسيمات الموضوع :

إعتمدت في بحثي على خطة تتكون من مقدمة وأربعة فصول، جاء الأول بعنوان الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها، وقد قسمته إلى الحركات الإصلاحية التي سبقت حركة الجامعة الإسلامية، و مفهوم الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها، أما الفصل الثاني فخصصته لعوامل إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر التي حددتها في ثلاث عوامل : الدعاية العثمانية والمهاجرين، الصحافة العربية المشرقية، و زيارة محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903، أما الفصل الثالث الذي يحمل عنوان : أثر فكرة

الجامعة الإسلامية في الجزائر فقسّمته إلى أثر رواد الجامعة الإسلامية في الجزائر والمصلحون الجزائريون وفكرة الجامعة الإسلامية الذي تناولت فيه المؤثرات المساعدة لأبرز المصلحين في التعرف على فكرة الجامعة الإسلامية، ثم الجامعة الإسلامية في تصور رواد الإصلاح بالجزائر، وأخيرا دور هؤلاء المصلحين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بها، أما الفصل الرابع فكان الحديث فيه عن أهم القضايا التي جسدت التضامن الفعلي مع الدولة العثمانية، بدءا بالإحتلال الإيطالي لليبيا ثم الحرب العالمية الأولى وأخيرا مسألة إلغاء الخلافة العثمانية، فيما خصصت العنصر الثاني من هذا الفصل لرد الفعل الفرنسي على دعاية الجامعة الإسلامية بالجزائر، وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها بأهم نتائج الدراسة.

- الصعوبات :

لقد واجهتني عدة صعوبات في إنجاز هذا البحث يرجع بعضها إلى تكرار الكثير من المراجع لنفس المعلومات وبنفس الصيغة بالإعتماد على كتاب سعد الهه الحركة الوطنية...، إضافة إلى إرتباط الموضوع مع العديد من الأحداث ممّا جعلني أستغرق وقتا معتبرا في تصنيف المادة العلمية بين الفصول وهذا لتشابهها وتداخلها بين العناوين، كما يمكن أن أعتبر قصر الوقت المخصص عائقا من العوائق التي تجعل من الصعب الإلمام بكل جوانب الموضوع، لهذا وجدت نفسي أمام تحديات جمة منها اللجوء إلى التركيز في محاولة مني للإشارة لكل ما له علاقة بالموضوع.

أما الصعوبة الثانية التي واجهتني في هذه الدراسة هو تعرض الجامعة الإسلامية في الجزائر لجملة من العراقيل منها عدم توفر الحرية فيها، ممّا إضطر معظم المؤمنين بها إلى ممارسة نشاطهم في الخارج، وهو ما أدى إلى اندماج المساهمة الجزائرية في نشاطات الجامعة الإسلامية بين الجزائر والمشرق العربي.

وأخيرا أرجو أنني قد تمكنت من الكشف عن العديد من جوانب وخبايا هذا الموضوع، محاولة في ذلك الإلمام بكل حيثياته ذلك في حدود علمي والله أعلم.

الفصل الأول : الجامعة الإسلامية

وأبرز دعائها

أولا : الحركات الإصلاحية التي سبقت ظهور

حركة الجامعة الإسلامية

ثانيا : مفهوم الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها

الفصل الأول : الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها

أدت الثورة الصناعية - التي عرفتها عدة بلدان أوربية - إلى تحقيقها نهضة اقتصادية كانت سببا في بروز قوى إستعمارية حتمت عليها فوائض إنتاجها وتكدس رؤوس أموالها إيجاد فضاءات حيوية لإنعاش إقتصادها، فشرعت في حملات توسعية إستعمارية إستهدفت العديد من بلدان العالم الإسلامي، وجعلت الخطر الغربي يهدد إستقلال أجزاء من الإمبراطورية العثمانية بعد أن وصل الأمر إلى الإستيلاء على العديد من ولاياتها، بل دق الخطر أبواب القسطنطينية نفسها بتوسع الروس على حسابها وخروج العديد من بلدان جنوب شرق أوربا عن دائرة نفوذها.

إن خطورة الوضع ودقته، حتمت على المسلمين البحث في تراثهم عن أسباب تخلفهم الحضاري وجمودهم الفكري في محاولة لتحقيقهم نهضة سريعة كفيلة بلمّ الشمل وسدّ الثغرات، وتحول أو على الأقل تؤخر إلتهام الدول الأوربية لبلاد المسلمين، كل ذلك بدت معالمه في إطار حركة إصلاحية جعلت ردّ الإعتبار للدين من أهم العوامل الكفيلة بتحقيق نهضة المسلمين وقدرتهم على الوقوف في وجه القوى الإستعمارية، و لقد تزامنت تلك التوجهات مع دخول الإمبراطورية العثمانية مرحلة الضعف الفادح، فأصبحت عاجزة عن الدفاع عن أطرافها حيث بدأت تعرف حركات إنفصالية في جزئها الأوربي، وتلملأ في بعض مناطق ولاياتها بالمشرق العربي، الأمر الذي جعل الرجل المريض¹ بالفعل يدخل في مرحلة إحتضار حقيقية.

تلك هي أبرز مميزات الوضع العام للدولة العثمانية عند إعتلاء السلطان عبد الحميد² عرشها، وهو إعتلاء تزامن مع حرب على الأبواب مع روسيا، فلا غرابة أن

¹ رجل أوربا المريض هو الإسم الذي أطلق على الدولة العثمانية في مرحلة الإنهيار العام التي شهدتها كما رأينا.

² السلطان عبد الحميد : تولى الخلافة العثمانية سنة 1876، كان وراء إصدار أول دستور عثماني في 23 ديسمبر 1876 لمحاولة وقف التدخل الأجنبي، إلا أن إجراءاته لم تمنع وقوع حرب مع روسيا سنة 1877، فأقدم على حل المجلس النيابي عام 1877 وفي العام التالي علق الدستور، ثم إتجه لتقوية الرابطة الإسلامية فأقدم على جمع التبرعات لبناء سكة حديد الحجاز من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتسهيل مهمة الحج إلى مكة، تمكنت الدول الأوربية في عهده من إحتلال تونس 1881، ومصر 1882 فضلا عن قيام عدة ثورات في أجزاء الإمبراطورية العثمانية بأوربا، خلع من الحكم عام 1909. أنظر : عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة، دار الهدى، دط، بيروت لبنان، د ت، ج3، ص ص 810 - 811.

يوقن المسلمون أن لا سبيل للوقوف في وجه المخططات الإستعمارية إلا بدعوة المسلمين إلى الإتحاد، فكان رفع شعار الجامعة الإسلامية بإتجاهيها الفكري والسياسي يقوم على تفعيل مفاهيم الأمة عند المسلمين، وإصلاحها لمواجهة الخطر الماحق والمهدد للجميع، لكن وقبل ظهور هذه الحركة برز عدد من الحركات الإصلاحية التي أدركت الحاجة إلى الإصلاح وإيقاف التدهور الديني والإجتماعي الذي أصبح يعيشه المسلمون، وفي مايلي سنحاول أن نبرز الاختلاف بين حركة الجامعة الإسلامية و هذه الحركات الإصلاحية التي تطرحها معظم المراجع التي إطلعنا عليها كتيارات أولى للجامعة الإسلامية، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تزامنا مع إشتداد الهجمة الإستعمارية الغربية على البلاد العربية والإسلامية، ومن خلال ذلك إستعرضنا أبرز الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العصر الحديث ومبادئها وكذا حركة الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها لنبين الفرق بينهما، وكذا الوقوف على المفهوم الشامل لفكرة الجامعة الإسلامية والهدف منه.

أولا : الحركات الإصلاحية التي سبقت ظهور حركة الجامعة الإسلامية

كانت ردود الفعل الأولى على مظاهر الضعف والفساد والانحلال التي أصابت المجتمع الإسلامي في العصر الحديث ردودا دينية، فظهرت الحركات الإصلاحية التي أجمعت على أن انحطاط المسلمين راجع للبدع التي شوهت مبدأ التوحيد الإسلامي، لهذا قامت دعوتها على الرجوع المطلق للكتاب والسنة وإيقاف التدهور الإجتماعي والسياسي¹، ومن أهم هذه الحركات الحركة الوهابية² التي أعتبرت أول رد فعل ديني

¹ علي المحافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798 - 1914)، الأهلية للنشر، دط، بيروت لبنان، 1987، ص 37.

² الوهابية : هي أول حركة إصلاحية سلفية تجديدية ظهرت في العصر الحديث، تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب (1703 - 1791) الذي ظهر في نجد وبدأ دعوته بها، ولكي يضمن نجاحها وضع لها برنامجا سياسيا، فإتصل بأمير الدرعية محمد بن سعود وتعاهدا على محاربة البدع والضلالات، ونشر الدعوة في جزيرة العرب باللسان والسيوف، ولهذا شعرت الدولة العثمانية بخطرورها فسعت للتغلب عليها، لأن نجاحها يؤدي إلى فقدانها الزعامة على العالم الإسلامي. أنظر : عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي (1516 - 1966)، دار النهضة العربية، دط، بيروت لبنان، دت، ص ص 211 - 216.

على مفاصد المجتمع الإسلامي في العصور الحديثة، لأنها أقدم حركة تصدت للفساد الداخلي إنطلاقاً من دعوتها التي قامت على المبادئ التالية :

* العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، ذلك أن العقيدة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم كانت صافية نقية، فكانت مصدراً لعظمتهم ومبعثاً لانتصاراتهم وفتوحاتهم الواسعة.

* التوحيد ويتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله، فالله هو الخالق الواجب عبادته والإستغانة به.

* إنكار تأويل القرآن الكريم وتكفير كل من يقول بذلك، بالإعتماد على قوله عز وجل " ولا يعلم تأويله إلا الله ".

* فتح باب الإجتهد في الإسلام إذ أن إقفاله كان نكبة على المسلمين .

* الدعوة إلى التقشف في العيش وإجبار المسلمين على القيام بأركان الإسلام بحذافيره، من أجل إعادة بناء المجتمع الإسلامي¹.

يبدو من خلال النقاط السالفة الذكر أن الوهابية ركزت في دعوتها على العقيدة وحدها، فقد كان عبد الوهاب يرى أن العقيدة والروح هما الأساس وهما القلب إن صلحا صلح كل شيء وإن فسدا فسد كل شيء، لهذا لم ينظر إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية فركز فقط على المحافظة الإجتماعية وإصلاح المجتمع وتقويته²، أما سياسيا فالوهابية إحدى الحركات المناوئة للعثمانيين³.

وقد كانت الحركة الوهابية مصدر إلهام للحركات والدعوات الإسلامية التي ظهرت من بعدها، فبرزت الشوكانية⁴ التي ظهرت في اليمن في عهد عمّت فيه البلاد

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 40 - 43 .

² أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، دط، بيروت لبنان، دت، ص 15.

³ عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج2، ص 18.

⁴ الشوكانية : تنسب إلى مؤسسها محمد بن علي الشوكاني المولود عام 1760 في هجرة شوكان باليمن، الذي برز بأرائه الجريئة في اليمن لإصلاح الوضع المتردي بها، فظهر فقيها ومحدثا بارعا إلا أن أثره ظل محدودا في إطار اليمن تقريبا. أنظر : علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 44 - 45.

فساد الحكم وإنحطاط المجتمع وتسلط الأسرة الحاكمة، أما على المستوى الثقافي والفكري فقد إنحدر بسبب إنتشار البدع والضلالات في الدين والتقليد الأعمى للأئمة، في هذه الأوضاع ظهرت الشوكانية التي قامت دعوتها على المبادئ التالية :

* الإعتماد على كتاب الله وسنة نبيه في الأحكام الدينية، وإعتبار ماعدا ذلك من إجماع وقياس عرضة للنقد وقابلا للصحة والخطأ.

* تنقية الدين الإسلامي ممّا لحق به من بدع وضلالات معتمدا في ذلك على مبدأ التوحيد.

* الدعوة إلى فتح باب الإجتهد ورفض التقليد.

* الدعوة للإصلاح الإجتماعي فقد دعا المرأة إلى العمل ومساعدة أهلها وزوجها في كسب عيشهم¹.

وبهذا فقد قامت دعوة الشوكانية على الأفكار التي نادت بها الوهابية، إلا أنها تميزت عنها في موقفها من الدولة العثمانية إذ أمكن لليمن الشمالي بفضل الدعوة الشوكانية أن يستمر على ولائه لها، حتى إنتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية².

وفي القرن التاسع عشر الميلادي برزت حركة إصلاحية أخرى وهي الحركة السنوسية³ التي تعد حركة إصلاحية سلفية وطريقة صوفية ، لأنها جمعت بين النظرة الوهابية للإصلاح الديني ومحاسن الطرق الصوفية، و تشابهت معهما في كثير من أمورهما⁴، إذ تلاقت مع الوهابية في مبادئها وفي موقفها الحذر وغير الودي تجاه الحكم

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 46 - 47.

² موفق بني المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للنشر، دط، الكويت، ماي 1984، ص 359 .

³ السنوسية : تنسب إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي الجزائري الأصل (1787 - 1859)، والذي إنتقل إلى مكة فأنشأ زاويته الأولى في جبل أبي قبيس عام 1837، ثم عاد إلى طرابلس الغرب وأنشأ بها الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر فكانت أول زاوية سنوسية في شمال أفريقيا، وعندما ضايقته السلطات العثمانية إنتقل إلى واحة جغبوب بالصحراء الليبية التي أقام بها المراكز الفكرية والسياسية وإتخذها مركزا لدعوته. للمزيد أنظر : محمد علي الصلابي : الحركة السنوسية في ليبيا، دار البيارق، ط1، بيروت لبنان، 1999، ج1، ص ص 23 - 104.

⁴ علي المحافظة، المرجع السابق، ص 57.

العثماني، ولكنها تميزت عنها بدعوتها الصريحة لإقامة نظام حكم إسلامي¹ تكون فيه الإمامة للعرب، لهذا إرتكزت السنوسية على المبادئ التالية :

* العودة بالإسلام إلى صفاءه الأول وإعتبار الكتاب والسنة مصدرَي الشريعة الإسلامية.

* الدعوة إلى فتح باب الإجتهد في الإسلام وإعتبار غلقه سببا في تحجر الفكر الإسلامي ودخول البدع إليه.

* تطهير الدين مما علق به من بدع وخرافات.

* حصر الإمامة في قریش².

ومجمل القول أن السنوسية تطلعت لإصلاح المجتمع الإسلامي من خلال برنامجها الذي يهدف لتلقين الناس أصول الدين الإسلامي الخالي من أي إنحراف، والعمل على نشر الإسلام والدعوة له في عمق القارة الإفريقية إنطلاقا من تكوينها لشبكة الزوايا التي غطت مساحات شاسعة من قارة أفريقيا، كما لعبت دورا بارزا في إشاعة العلم وتخليص السكان من المعتقدات الوثنية من خلال نشاطها التعليمي والتربوي الذي تقوم به زواياها، وبهذا هدفت دعوتها لبناء مجتمع مسلم لمواجهة انحطاط المسلمين والخطر الأوربي الداهم الذي عملت على عرقلة مده الإستعماري داخل القارة الأفريقية³.

وعلى تخوم ليبيا وبالقرب من السنوسيين بالذات ظهرت المهدية⁴ التي تعد حركة ذات أصل ديني ساعد على تطورها الضغوط المختلفة التي تعرض لها المجتمع

¹ عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج3، ص 259.

² علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 57- 58.

³ جمال قنان : التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار دراسات في التاريخ المعاصر ، منشورات وزارة المجاهدين، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، مج 6، ص ص 200 - 201.

⁴ المهدية : تنسب إلى محمد بن أحمد بن السيد بن عبد الله (1844 - 1885)، الذي مال إلى التصوف فإلتحق بشيخ الطريقة السمانية عام 1861 الذي منحه راية الدعوة للطريقة، فجاب السودان يتفقد أحوال البلاد وهناك شعر أن النفوس مهياة لظهور مهديته فكان له ذلك عام 1882، ثم أخذ يعلنها فكثر أنصاره الذين ساعدوه في الإنتصار على السلطة السودانية، حينها أراد أن يوسع مجال دعوته لكنه لم يتجاوز حدود السودان. أنظر: علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 65- 68.

السوداني والإسلامي، فقامت بثورة سياسية أقامت حكماً إسلامياً في السودان¹، كما دعت إلى تجديد الإسلام لهذا جاءت تعاليمها كالتالي :

* العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في عهوده الأولى وإعتماد الكتاب والسنة فقط، فالمهدي يقول أتركوا الكتب لكتاب الله فإنها حاجبة لفهم معناه.

* التوحيد بين المذاهب الأربعة والخروج بمذهب إجتهادي خاص، ذلك أن المهدي يعتقد أن إنقسام المسلمين إلى عدة مذاهب وإتباعهم الطرق الصوفية المختلفة يضعف من قوتهم ويسدل على تعاليم دينهم ستاراً من الغموض.

* القضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار الإسلامية، والحقيقة أنه من الصعب فصل أفكار المهدية السياسية عن تعاليمها الدينية، فقد إستتكرت في بياناتها الظلم والإضطهاد وفساد الأتراك كموظفين رسميين، كما إستتكرت ترفهم وضعف إيمانهم وتصرفاتهم كمسلمين، لهذا جعل من أهدافه الإطاحة بالنظام السياسي والإداري القائم².

وبناء عليه فإن الحركات الإصلاحية قد ظهرت كنتاج للإنحلال الإجتماعي، وإنتشار البدع والضلالات في الدين الإسلامي، والإبتعاد عن أصول العقيدة الإسلامية أي كرد فعل على واقع إجتماعي وديني متخلف إستجوب الأمر معالجته وإصلاحه، وهكذا نجد أن هذه الحركات على إختلافها وتعدد غايتها قد تبنت شعار الإصلاح الذي أعتبرت أولى خطواته، ولكن إمتناعها عن التطور والتفاعل الإيجابي مع مستجدات العصر، جعلها تصبح إستجابة غير كافية لإحتياجات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ومتطلباتها لرفع التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تواجهها، لهذا برزت حركة الجامعة الإسلامية. فما مفهوم الجامعة الإسلامية عند أبرز دعائها ؟

¹ موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص ص 360-361.

² علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 68-70.

ثانيا : مفهوم الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها

ظهرت الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن 19 كرد فعل للغزو العسكري والثقافي الغربي للعالم الإسلامي¹، ونتيجة لعجز الدول الإسلامية عن إيقافه خاصة بعد فشل الثورات المسلحة في الأقطار الإسلامية²، لهذا أيقن عدد من المفكرين المسلمين أن النضال المحلي في كل قطر إسلامي ضد الغرب لن تكون له جدوى مادام الغرب متفوقا من الناحية العسكرية، فعمدوا إلى العمل السياسي المنظم الشامل وسعوا إلى الوحدة العامة بين الأقطار الإسلامية، كما ثبت لهم أيضا أن الوصول إلى هدفهم لا بد له من نهضة صحيحة تقوم على التجديد في مختلف مناحي الحياة³.

لهذا كان جمال الدين الأفغاني⁴ أحد أشهر دعاة الجامعة الإسلامية، يدعو إلى وحدة الشعوب الإسلامية وإزالة الفوارق بين فرقها، متأثرا بثقافته الإسلامية والغربية والتجربة السياسية التي عاشها في عدة أقطار إسلامية، فجاءت آراؤه في التجديد الديني والإصلاح السياسي والاجتماعي واضحة في هذا الإطار، كما أنه حلل أسباب تدهور الحضارة الإسلامية والضعف السياسي والانحلال الاجتماعي للعالم الإسلامي في القرون الأخيرة⁵، فقدم آراءه الإصلاحية التي أجمعت على المبادئ التالية :

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص109.

² جمال قنان، المرجع السابق، ص202.

³ علي المحافظة، المرجع السابق، ص109.

⁴ جمال الدين الأفغاني : ولد في قرية أسد آباد في أفغانستان عام1839، رحل إلى مكة حاجا عام 1857، وهناك بدأ دعوته إلى فكرة الجامعة الإسلامية فأنشأ فيها جمعية أم القرى وأصدر مجلة بإسمها، عاد إلى أفغانستان فتولى رئاسة وزرائها إلا أنه عزل من منصبه، سافر إلى الهند عام 1868 وهناك فرضت عليه حكومتها الإنجليزية حصارا حال بينه وبين جماهير المسلمين، فذهب إلى مصر ومنها إنتقل إلى الأستانة بناء على دعوة السلطان عبد العزيز الذي عينه عضوا في المجلس الأعلى للمعارف، نفي منها عام 1871، فقصده مصر فتتلمذ على يده محمد عبده، رحل رحلات عديدة داعيا للوحدة الإسلامية، توفي بالأستانة عام 1896. للمزيد أنظر : محمد عمارة : جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام ، دار الشروق، دط، القاهرة مصر، دت، ص ص 45 - 54. كذلك، خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار الملايين، ط15، بيروت لبنان، ماي 2002، ج6، ص ص 168 - 169.

⁵ علي المحافظة، المرجع السابق، ص72.

* إعتبار الوازع الديني عند المسلمين الأساس في معركتهم ضد الإستعمار الغربي.

* تحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الإجتهااد.

* التوفيق بين العلم والإيمان، إذ يعتقد الأفغاني أن لا خلاف بين ما جاء في القرآن والحقائق العلمية، أمّا إذا برز خلاف ما فحل ذلك يكون بإعتماد التأويل في القرآن الكريم.

* التدقيق في النصوص الدينية وإستخلاص الصحيح منها، وذلك باعتماد القرآن والحديث المتواتر، وإجماع المسلمين في صدر الإسلام.

* رفض تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة دون ضرورة لابد منها، بقبول ما يتفق والشرعية الإسلامية ويفيد المسلمين في حياتهم، ورفض ما يتعارض مع ذلك.

* الطريق إلى التمدن الحقيقي هو الإصلاح الديني.

* الدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية¹.

ولأجل نشر دعوته، سعى جمال الدين الأفغاني لتوعية المسلمين وتوجيههم

ضد حملات الغزو التي شنها الإستعمار عليهم، فزار طهران وتركيا والحجاز والهند

لهذا الغرض، كما ذهب إلى مصر التي أقام فيها مدة ثماني سنين (1871 -

1878) ثائرا على الأوضاع المتعفنة بها²، إذ عمل فيها للديمقراطية السياسية

والتححرر من إستبداد الحكم الفردي والنفوذ الأجنبي ، الأمر الذي أثار حفيظة السلطات

المصرية التي أمرت بنفيه من مصر عام 1879 بإيعاز من إنجلترا التي حاربتة

لنشاطه المعادي للإستعمار ولعرقلته خطتها في الإستيلاء عليها، فغادرها إلى الهند ثم

إنتقل إلى باريس أين دعا الشيخ محمد عبده³ إليه، وهناك أنشأ جمعية و صحيفة

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 73 - 111.

² رشيد الذواودي : رواد الإصلاح، دار المغرب العربي، ط1، تونس، 1973، ص ص 60 - 64.

³ محمد عبده : من مواليد سنة 1849 بمصر، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، تولى التحرير في جريدة الوقائع المصرية، نأوا الإنجليز عند إحتلالهم مصر، وشارك في مناصرة الثورة العربية فسجن ثلاث أشهر، نفي إلى بلاد الشام ومنها سافر إلى باريس، له عدة آثار منها " تفسير القرآن الكريم " و" الرد على هانوتو"، ولمحمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره سماه تاريخ الأستاذ الإمام، توفي بالإسكندرية سنة 1905. أنظر : خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص ص 252 - 253.

العروة الوثقى¹، التي كان هدفها إيقاظ الشعوب الشرقية عموماً و المسلمين خصوصاً، و الدفاع عن حقوقهم وتبنيهم لخطط المستعمرين وتدخلاتهم في البلدان الإسلامية ودعوتهم إلى مقاومتها².

ولقد لقيت دعوة جمال الدين الأفغاني تأييد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، الذي تشبث بفكرة الجامعة الإسلامية، فوجدها أداة دينية لتقوية سلطته السياسية في العالم الإسلامي، ووسيلة لكسب جميع المسلمين إلى جانبه³ وتوحيدهم بقصد توفير جبهة للصمود في وجه الغرب⁴، كما وجد فيها سلاحاً لمواجهة الحركات النصرانية والقومية التي تهدد الإمبراطورية العثمانية، فقد أراد استخدام الدين لمقاومة معارضيهِ بإبراز السمات الدينية لمنصبه وإحياء الخلافة الإسلامية وتقويتها بشخصه، وبذلك يضمن ولاء ملايين المسلمين في مواجهة التيار الفكري المتأثر بالثقافة الغربية⁵. ومن أجل إنجاح سياسته، اعتمد السلطان في حكمه على مجموعة من المسلمين من سوريا ولبنان والجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية، فعهد إلى كثير منهم بأعلى المناصب في الدولة وكان من بينهم محمد ومحي الدين باشا ولدا الأمير

¹ العروة الوثقى : جريدة عربية أسبوعية شعارها الآية الكريمة " العروة الوثقى لا إنفصام لها "، صدر العدد الأول منها يوم الخميس 13 مارس 1884 في باريس، تحت إشراف جمال الدين الأفغاني مديرها السياسي ومحمد عبده محررها الأول، تمحورت موضوعاتها حول المقاومة ضد الإستعمار الأوربي وخاصة البريطاني، الوحدة الإسلامية وأسباب تخلف المسلمين، ونظراً لتأثيرها العميق على عقول المسلمين ومواقفها ضد الإستعمار، فقد حاول الإنجليز دفع خطرهما حتى قبل إصدارها، فمنعوا دخولها إلى البلاد الهندية والمصرية وفرضوا عقوبات على قرائها، وهكذا نجح الإنجليز في معركتهم ضدها فتوقفت نهائياً بعد صدور العدد الثامن عشر والأخير منها في 17 أكتوبر 1884. للمزيد أنظر : سيد هادي خسرو شاهي : الآثار الكاملة - 1 - العروة الوثقى، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة مصر، 2002، ص ص 68 - 75.

² نفسه، ص71.

³ حسان علي حلاق : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908 - 1909)، الدار الجامعية، دط، بيروت لبنان، دت، ص ص 24 - 25 .

⁴ أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، القاهرة مصر، 1986، ص249.

⁵ ياغي إسماعيل أحمد : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض السعودية، 1998، ص197.

عبد القادر الجزائري¹، كما عهد لجماعات كثيرة من الدعاة الذين بعثهم لمختلف أنحاء العالم الإسلامي لنشر الدعاية للجامعة الإسلامية²، إلى جانب تسخير الصحافة للدعاية لهذه السياسة، فقد تولى الدعوة للجامعة الإسلامية عدة صحف في العالم الإسلامي أهمها: "الكوكب العثماني"³ و"الجوائب"⁴ من الأستانة، وجريدة "طرابلس"⁵ بطرابلس بطرابلس الشام⁶، بالإضافة إلى العروة الوثقى والمنار اللتان تعتبران عماد الدعوة للجامعة الإسلامية، وإلى جانب ذلك استطاع السلطان أيضا أن يضم لجانبه جمال الدين الأفغاني الذي دعاه للأستانة لكي يعينه على بناء صرح الجامعة الإسلامية.

فسافر الأفغاني إلى هناك عام 1892، وشرع في الدعوة إلى وحدة المسلمين خلف قيادة السلطنة العثمانية، ثم بايع الأفغاني السلطان بالخلافة >> لأن الممالك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شرك أوربا، ولا من السعي وراء إضعافها وتجزئتها، وفي الأخير إزدارها واحدة بعد أخرى، إلا بيقظة وإنتباه عمومي، وإنضواء

¹ محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، ط 1، بيروت لبنان، 1981، ص745.

² أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 248.

³ الكوكب العثماني : جريدة علمية أدبية سياسية تجارية لمديرها ووكيلها محمود زكي، كانت تطبع في المطبعة العثمانية بدار الخلافة العلية، أين تصدر كل أسبوع وتنتشر في نسختين واحدة بالعربية والأخرى بالتركية، وهي صحيفة رسمية " خادمة للملة الإسلامية والجامعة العثمانية "، وهو توجه جعل محتواها على خدمة السلطنة العثمانية والترويج لسياسة سلطانها، كان لها رواج في كل البلدان الإسلامية. أنظر : التليلي العجيلي : **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918**، دار الجنوب ، ط1، تونس، 2005، ص 99.

⁴ الجوائب : أول صحيفة عربية ظهرت في أستانبول سنة 1860 لمنشئها فارس الشدياق اللبناني، كان ينشرها أسبوعيا في المطبعة السلطانية، ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاقها لبث فكرة الخلافة بين المسلمين، وكان صاحبها يقبض كل سنة خمسمائة ليرة عثمانية من السلطان لهذه الغاية، وقد كانت خلال سبعينيات القرن التاسع عشر بالخصوص أداة سياسية تمارس دعاية واضحة لفائدة الدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد موالية للجامعة الإسلامية. توقفت عن الصدور في 1883. للمزيد أنظر : نفسه، ص ص 100-101. كذلك، مروة أديب : **الصحافة العربية نشأتها وتطورها**، دار مكتبة الحياة، دط، بيروت لبنان، دت، ص ص 152-153.

⁵ طرابلس : ظهرت سنة 1893 على يد محمد كامل البحيري، وقد طغت عليها أفكار ومفاهيم الجامعة الإسلامية، حيث إمتزجت عندها المفاهيم الوطنية والقومية بالمفاهيم الدينية الإسلامية، معتبرة الدولة العثمانية الدولة الإسلامية القائمة على أمر المسلمين، والذين من واجبه إلتفاف حولها ومساندتها. للمزيد أنظر : التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 102. كذلك، مروة أديب، المرجع السابق، ص 181.

⁶ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص ص 99 - 102.

تحت راية الخليفة الأعظم <¹، ولكن أمله خاب في السلطان إذ سرعان ما حدثت القطيعة بين الرجلين، ثم أخذ الأفغاني في مهاجمة السلطان الذي أصبحت حربه مكرسة ضد الإصلاح ومحاربة الأحرار، فأخذ الأفغاني يسخر من خلافة آل عثمان ثم دخل على السلطان يوما فقال له : <> أتيت لأستسمح جلالتك أن تقيلني من بيعتي لك، لأنني رجعت عنها <²، ثم أخذ الأفغاني في مهاجمة سياسة عبد الحميد الذي جاهر بعدائه له وكشف إدعاءاته، ورفض حتى مقابلته بحجة أنه لم يكن صادقا وكان يخدعه وكان يستغل جهوده في هذا الإتجاه لمصلحته إذ لم يتبنى أفكاره البتة ³، فقد كان الأفغاني معجبا بالنظام الدستوري وكان يرغب أن يكون الإتحاد الإسلامي دستوريا، أي توعية الشعوب الإسلامية بمزايا النظام الدستوري حتى ترغم حكامها على وضع الدستور، ولكن هذه المفاهيم لم تلق الإستجابة لدى السلطان عبد الحميد الثاني الذي أخذ يعيد هيبة الخلافة في شخصه ومن هنا بدا الخلاف واضح بين نهج الرجلين في هدف الجامعة الإسلامية⁴.

ومن خلال ماسبق وجدنا أن أهم ما كان ينادي به الأفغاني ويرمي إليه، هو الجامعة الإسلامية التي تعني لديه تحقيق رابطة سياسية تجمع المسلمين على صعيد العقيدة الدينية الموحدة، أساسها تعاليم القرآن والسنة بقطع النظر عن لغاتهم وأجناسهم ومواطنهم⁵.

أما تلميذه محمد عبده فقد كان منطلقه الفكري هو الإنحلال الداخلي والحاجة إلى التجديد في الإسلام، فقد كانت تواجهه صورتان متباينتان للمجتمع الإسلامي صورة قديمة جميلة تعود إلى عهد الإسلام الأول، وصورة مهزوزة للمجتمع المعاصر، لهذا

¹ محمد عمارة، المرجع السابق، ص ص 79 - 81.

² نفسه، ص ص 81 - 82.

³ بشير فايد : " قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان دراسة تاريخية وفكرية مقارنة الجزء الأول " ، (رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصمصاف، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، نوقشت في 2009/2010، ص 412.

⁴ ياغي إسماعيل أحمد، المرجع السابق، ص 201.

⁵ محمد صالح المراكشي : تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار (1898 - 1935)، الدار التونسية، دط، تونس، نوفمبر 1985، ص 86.

أراد محمد عبده مجتمعا يسوده العقل والقانون ومن خلال هذا التصور نشأت دعوته على الأسس التالية:

- * تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة به إلى نقائه الأول.
- * إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث أو التوفيق بين الدين والعلم.
- * الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية وضد حملات المبشرين المسيحيين خاصة إصلاح التعليم الإسلامي¹.

وبخصوص موقفه من الدولة العثمانية فقد تطابق مع رأي أستاذه جمال الدين الأفغاني، إذ أيد بقاءها ونادى بإصلاحها وتجديد شبابها، على أن تقف عند حدود السلطة الروحية التي تلعب دورا في التضامن الإسلامي ودفع حركة الترقى الشرقية إلى الأمام، فهو يطلب بقاءها لأن أصحابها مازالوا أقوى أمراء المسلمين، لذلك أراد إمكان الاستفادة منها لعرقلة المد الاستعماري الغربي على البلدان الإسلامية، لهذا لم يناصر حركات الاستقلال القومي العربي عن الإمبراطورية العثمانية، لأنه كان يبصر تربص الاستعمار الأوربي بها²، لهذا يقول : >> إن العرب أهل لذلك ولكن الترك لا يمكنونهم منه، وعندهم من القوة العسكرية المنظمة ما ليس عندهم، فإذا شعروا بذلك أو رأوا بوادره قاتلوهم، حتى إذا وهنت قوة الفريقين، وثبت دول أوربة الواقفة لهما بالمرصاد، فاستولوا على الفريقين أم على أضعفهما وهذان الشعبان هما أقوى شعوب الإسلام، فتكون العاقبة إضعاف الإسلام وقطع الطريق على حياته <<³.

وبناء عليه يمكن القول أن الجامعة الإسلامية عند محمد عبده تكون بالعودة بالإسلام إلى تعاليمه الأولى، والتصدي لأخطار الحملات الغربية الموجهة للإسلام، ومن خلال موافقة الحكومة على التمتع بقدر معين من الحرية في تشريعها،

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 81 - 87.

² محمد عبده : الأعمال الكاملة لمحمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة مصر، ط1، 1993،

ج1، ص ص 111 - 112.

³ نفسه، ص 112.

فهو لم يناصر المنادين بالإستقلال عنها، فضلا عن أنه كان يناادي بالمساواة في ظل الدولة الإسلامية¹.

ومن دعاة الجامعة الإسلامية أيضا نجد محمد رشيد رضا² الذي جاءت آراؤه في التجديد والإصلاح الديني تقوم على المبادئ التالية :

- * إستقلال الفكر وحرية العقل في العلم وإجتتاب تقليد العلماء.
- * إبطال البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال.
- * إعتقاد القرآن والحديث النبوي في تصحيح العقائد وتركيز النفوس وتهذيب الأخلاق³.

أما موقفه من الخلافة العثمانية، فقد برز من خلال مجلته المنار⁴ التي كتب في إفتتاحية عددها الأول : >> لكنها عثمانية المشرب حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق (...) <<، ولم يكتف رشيد رضا بهذا بل جعل من مجلته وسيلة صحافية لإشهار مشاريع السلطان عبد الحميد وخدماته مبشرا بها تارة ومدافعا عنها ضد الخصوم تارة أخرى، فيعود سبب مناصرة رشيد رضا للسلطان عبد الحميد هو كونه رمز الخلافة الإسلامية والممثل الشرعي لها وهو

¹ محمد طهاري : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الأمة، دط، الجزائر، 2010، ص 85 - 86.

² رشيد رضا : ولد في القلمون بطرابلس الشام سنة 1865، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، تعلم في طرابلس ثم رحل إلى مصر فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ على يده، من آثاره " الوحي المحمدي " و " الخلافة " و " الوهابيون والحجاز "، رحل إلى الهند والحجاز ثم إستقر بمصر إلى أن توفي عام 1935. أنظر : خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 126.

³ علي المحافظة، المرجع السابق، ص ص 90 - 94.

⁴ المنار : مجلة سياسية دينية علمية تبحث في فلسفة الدين وشؤون العمران، شعارها الحديث الشريف " إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق "، صدر العدد الأول منها في 15 مارس 1898 وكان مؤسسها ورئيس تحريرها محمد رشيد رضا، كانت تطبع بمطبعة المنار بالقاهرة، وقد أوضحت في إفتتاحية عددها الأول أنها ستواصل السير على نهج العروة الوثقى، تحتوي على ستة أركان قارة وهي : باب تفسير القرآن الكريم، باب المقالات، باب التربية والتعليم، باب الفتاوي، باب الأخبار والأراء، و باب آثار علمية وأدبية، توقفت نهائيا عن الصدور في 30 جويلية 1935 بعد صدور 522 عددا منها. للمزيد أنظر : إبراهيم أحمد العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد سلسلة أعلام العرب - 33-، المؤسسة المصرية العامة للنشر، دط، مصر، 2001، ص ص 129-168. كذلك، أنور الجندي : تاريخ الصحافة الإسلامية -1- المنار محمد رشيد رضا، دار الأنصار، دط، مصر، دت، ص ص 30-108.

حامي الدين الإسلامي والمدافع عنه ¹، وعلى هذا الأساس فإن رشيد رضا فهم معنى الجامعة الإسلامية في اتجاه السلطان عبد الحميد، ولكنه تنكر لسياسته منذ نجاح الانقلاب

العسكري الثاني عليه بقيادة جماعة الاتحاد والترقي في شهر أفريل 1909، وشرع في موالة الاتحاديين ² ونصرتهم، فإغتتم طور الانتقال إلى الحكم اللامركزي الجديد والعمل بالدستور وبدأ بالتدخل في أمور السياسة بإرشاد الزعماء الاتحاديين العسكريين والسياسيين، الذين إنقلب عليهم بعد تهاونهم في الدفاع عن القطر الليبي الذي هاجمه الإيطاليون في 1911 ومنذ ذلك الوقت تصاعدت نقمة رشيد رضا على الاتحاديين وبدأ يناضل ضدهم ويؤلب زعماء العرب عليهم ³، ولكنه نسي نقمته على حكومة الاتحاديين عندما سمع بانتصارات مصطفى كمال ⁴ في اليونان فهلل بهذا الحدث، ولكن إشادته بعمله هذا لم تطل فعادت إليه نقمته السابقة على الاتحاديين وأعلن معارضته العنيفة لإعلان الجمهورية التركية في أكتوبر 1923 وإلغاء الخلافة العثمانية نهائيا في مارس 1924⁵.

وإنطلاقا من ذلك يتجلى لنا أن فلسفة هؤلاء الدعاة في إصلاح الواقع المتردي للأمة الإسلامية تركز على : الإصلاح الديني من منطلق العقلانية الإسلامية، إيماننا منهم بأن الشرق لن ينتصر في صراعه مع الغرب إلا إذا تسلح بسلاح العقل، ذلك السلاح الذي ضمن للغرب تفوقه في هذا الصراع، و تجديد الصلات الحضارية مع الغرب وإقتباس المناسب منها، حتى يتمكن الشرق من العودة إلى دائرة التأثير

¹ محمد صالح المراكشي، المرجع السابق، ص ص 109- 112 .

² الاتحاديين : نسبة لجمعية الاتحاد والترقي المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، وقد إزداد هذا الاتحاد تنظيما وإتخذ من سالونيك مركزا هاما لنشاطه المعادي لهذا السلطان الذي أجبروه في سنة 1908 على إعادة الدستور، ثم الانقلاب عليه وتحتيته من الحكم في 1909، وكان من أشهر قادته طلعت باشا، وجاويد بيه، وجمال باشا. أنظر : عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 81- 82.

³ محمد صالح المراكشي، المرجع السابق، ص ص 115 - 142.

⁴ مصطفى كمال : من مواليد 1881 في سالونيك، لقبته الجمعية الوطنية أتاتورك أي أبو الأتراك، هو مؤسس تركيا الحديثة بعد أن ألغى الخلافة العثمانية، فأصبح رئيسا لجمهورية تركيا، أسس حزب تركيا الفتاة، توفي في 1938. أنظر : عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص 27.

⁵ محمد صالح المراكشي، المرجع السابق، ص ص 131 - 132.

الحضاري، و المحافظة على بقاء السلطنة العثمانية وتنمية جوانبها الإيجابية والعمل على تجديدها، لا من منطلق الإيمان بها كخلافة إسلامية، وإنما من منطلق الضرورات التي يحتمها التصدي للعدو الرئيسي الإستعمار الغربي، لذا فهم يرون ضرورة المحافظة عليها سياسيا ومحاولة تنمية قواها¹.

وإذا كان باقي الدعاة قد دعوا إلى الجامعة الإسلامية من منطلق إسلامي، فإن عبد الرحمان الكواكبي² قد خالفهم في ذلك، إذ رام تجديد حياة العالم الإسلامي تحت قيادة العنصر العربي³، وهو التوجه الذي سار فيه إذ أصدر صحيفتي الشهباء والإعتدال لتكونا الناطقتين بأفكاره وآرائه المناهضة للأتراك العثمانيين⁴، ولهذا كرس جهوده لإصلاح المجتمع والبحث في أسباب تأخر العالم الإسلامي، وإصلاح الحكم ودعم مبادئ الحرية، بالإضافة إلى محاربة الإستعمار وتنقية الإسلام من البدع والخرافات، والعمل على أن يستعيد العرب مركزهم الطبيعي في قيادة الإسلام، فقد رأى أن الرابطة العربية هي الحل بعد فشل الأفغاني في الوحدة الإسلامية⁵. لهذا ظهرت دعوته لإقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية، فقد تناول مسألة الخلافة في كتابيه " طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" و" أم القرى" وألقى بذور الشك في صحة إعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء المسلمين، وأوضح أن الكتب الفقهية تذكر

¹ محمد عمارة : الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل ، دار الشروق، ط 1، بيروت لبنان، 1994، ص 53.

² عبد الرحمان الكواكبي : من مواليد 1849 بحلب في سوريا، لقب نفسه بالسيد الفراتي وكان له إطلاع واسع من خلال تحصيله بعلوم السياسة والفلسفة والقانون، فهو أديب ورحالة ومن رجال الإصلاح الإسلامي، تعلم في حلب التي شغل بها عدة وظائف، رغب في الوقوف على حالة البلاد والعباد لهذا زار القاهرة وأفريقيا الشرقية وآسيا الغربية والسودان، كان ينوي زيارة المغرب العربي لكن المنية وافته قبل أن يقوم بها، إستقر في القاهرة إلى أن توفي في 1902. للمزيد أنظر : عبد الرحمان الكواكبي : طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ، تقديم أحمد السحمراني، دار النفائس، ط3، بيروت لبنان، 2006، ص ص 9 - 12.

³ محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية...، ص 59.

⁴ للمزيد أنظر : محمد عمارة : عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، دار الشروق، ط2، بيروت لبنان، 1988، ص ص 21- 22.

⁵ بشير فايد، المرجع السابق، ص 421.

بين شروط الخلافة النسب القرشي، كما دعا إلى ثورة العرب على الأتراك¹، أما

أسباب تخلف المسلمين التي توصل إليها ونشرها في كتبه فهي ثلاث أصناف دينية وسياسية وأخلاقية ومنها نذكر :

* الإستبداد والحكم المطلق.

* إنقسام الأمة إلى أحزاب سياسية متنازعة ومتصارعة.

* الإستغراق في الجهل والركون إليه.

* عدم الإهتمام بالتربية الدينية والخلقية، وعدم صلاحية التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد.

* غياب العدل الإجتماعي والمساواة بين مختلف الفئات الإجتماعية للأمة.

* عدم العناية بتعليم النساء، وضعف الرأي العام بفعل القيود المفروضة عليه وبث التفرقة فيه².

وهكذا يمكن القول أن الكواكبي يعد من المفكرين العرب والمسلمين الذين عملوا على تجديد العالم الإسلامي تحت قيادة العنصر العربي، فقد رأى في الجامعة الإسلامية حركة مناهضة للأتراك العثمانيين المسؤولين في رأيه عن الإنحطاط والتخلف الشاملين، اللذان كان يحياهما المسلمون بشكل عام بفعل الإستبداد الذي كان يمارسه حكام الدولة العثمانية والذي كانت نتائجه سلبية على كافة الجوانب والأصعدة، لهذا هاجمهم بشدة ونقدتهم نقدا لاذعا على نحو لم يسبقه له أحد من المناهضين للحكم العثماني، وهو ما كان ربما السبب في وفاته التي حامت حولها العديد من الشكوك.

أما مصطفى كامل¹ فقد حرص على سياسة حسن التقارب مع الدولة

العثمانية، مبررا ذلك بكونها السبب في منع إعلان الحماية البريطانية على مصر، بفضل رفضها التنازل عن سيادتها، ولكنه رأى في شعار الجامعة الإسلامية رباطا لا

¹ علي المحافظة، المرجع السابق، ص 132 - 133.

² بشير فايد، المرجع السابق، ص 422.

يتنافى مع المنطلق القومي إذ لا يشكل عقبة أمام إستقلال مصر الكامل، كما سعى للمزج بين التراث الإسلامي و ما تقدمه الحضارة الأوربية، ونادى بوحدة المعركة في مواجهة الإستعمار الأوربي، لهذا يمكننا القول بأن الجامعة الإسلامية التي نادى بها مصطفى كامل قد تميزت عن دعوة كل دعائها الآخرين²، وبخصوص دعوة شكيب أرسلان³ في لبنان فقد ركزت على إثارة الشعور الوطني المطعم بالروح الإسلامية لإسترجاع حرية الشعوب وإستقلالها⁴.

وقد إستمرت الدعوة للجامعة الإسلامية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909، إذ لم يتخل عنها الإتحاديون حكام الدولة العثمانية الجدد، بل إعتمدوا عليها في صراعهم مع الدول الأوربية الطامعة في إقتسام تركة الرجل المريض، إلا أن الدعوة عموما قد ضعفت بعد وفاة جمال الدين الأفغاني وعزل السلطان العثماني عبد الحميد⁵، كما إستخدمها غير المسلمين أيضا فقد ساهم في إثارتها الإنجليز لإعتبارها أداة لمقاومة التوسع الروسي، والمحافظة على ولاء الهنود المسلمين عن طريق إبداء المساندة لهم وللسلطان⁶، كما إعتمدتها ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى لكسب ولاء المسلمين لجانبها فأطلقت دعايتها التي تحث على محاربة أعداء ألمانيا و حليفاتها الدولة العثمانية.

¹ مصطفى كامل : من مواليد سنة 1874 بالقاهرة، من رواد الوطنية بها، دعا إلى إنشاء الحزب الوطني سنة 1907 وأنتخب رئيسا له، أسس جريدة اللواء اليومية في مصر سنة 1900 التي كان يناهض فيها الإستعمار الإنجليزي لبلاده، من آثاره " المسألة الشرقية " و " دفاع مصري عن بلاده " وغيرها، توفي في 1908. أنظر : خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، صص 238 - 239 .

² بشير فايد، المرجع السابق، ص ص 423 - 424.

³ شكيب أرسلان : من مواليد 1869 في الشويفات ببلبنان، وهو أديب وسياسي ومؤرخ من أكابر الكتاب، إنتخب نائبا عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني، ينعت بأمر البيان وهو من دعاة الوحدة الإسلامية، من آثاره الكثيرة " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم " وكتاب " حاضر العالم الإسلامي "، توفي في 1946. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص ص 173-174.

⁴ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920 - 1936)، منشورات السائح، ط3، الجزائر، 2010، ج1، ص 63.

⁵ علي المحافظة، المرجع السابق، ص116.

⁶ أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص 250.

وخلاصة القول أن الجامعة الإسلامية تعني¹ في الأساس ذلك التيار الفكري والسياسي الذي أبصر قاداته وأنصاره، أن هناك عددا من التحديات التي تواجه الفكر

الإسلامي والشعوب والأمم الإسلامية، سواء كانت تلك التحديات آتية من داخل الأوطان الإسلامية كالتخلف الفكري والروحي والإنحدار الحضاري والسياسي والصراعات الإقليمية والقبلية، أو آتية من الخارج في شكل المد الإستعماري والإمبريالي الذي زحف من أوروبا على الشرق وخاصة في القرن التاسع عشر، إذا فتّيار الجامعة الإسلامية هو الذي أبصر أصحابه هذه التحديات ثم آمنوا بأن تشخيصها له طريق واحد وهو التغلب عليها²، كما أن الجامعة الإسلامية تعني بمعناها الشامل ومفهومها العام >> الشعور بالوحدة العامة، والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي، (...) وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والإستمسك بعروتها كدين الإسلام <<³.

ومهما قيل في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وفي إختلاف إتجاهات القائمين عليها فقد أحييت الشعور بالتضامن بين المسلمين، ونمت روح الوحدة فيهم وكانت بأفكارها مصدرا لعدد من الحركات الإصلاحية التي ظهرت في القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، فقد تأثر بفكرتها عدد معتبر من رجال الإصلاح في العالم الإسلامي، وخاصة الجزائر التي ظهرت بها فئة من المفكرين المتأثرين بها، فما هي العوامل التي أوصلت فكرة الجامعة الإسلامية إلى الجزائر؟

¹ أنظر الملحق رقم : (4).

² محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية...، ص 50.

³ لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية عجاج نويهض، دار الفكر، ط 3، بيروت لبنان، 1971، مج 1، ج1، ص ص 287 - 288.

الفصل الثاني : عوامل إنتشار فكرة

الجامعة الإسلامية بالجزائر

أولا : دور الدعاية العثمانية و المهاجرين

الجزائريين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية

بالجزائر

ثانيا : دخول الصحافة المشرقية إلى الجزائر

ثالثا : زيارة محمد عبده للجزائر في 1903

الفصل الثاني : عوامل إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر

إن إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر صاحبها تأثيرات عديدة وعوامل عدة، كان من أهمها تأثير الدعاية العثمانية للهجرة والصحافة المشرقية وكلاهما ساهم أيما مساهمة في الترويج لفكرة الجامعة الإسلامية، لما لعبه كل منهما في نقل مبادئ هذه الفكرة إلى الخاصة والعامة من المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى زيارة محمد عبده سنة 1903 إلى الجزائر، والتي أدت بحضور هذه الشخصية إلى التعريف بالشخص وأفكاره المنادية للإصلاح الديني والتضامن الإسلامي.

أولا : دور الدعاية العثمانية والمهاجرين الجزائريين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر

تعرضت الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى جملة من الأخطار السياسية والعسكرية، لهذا رأت في فكرة الجامعة الإسلامية آلية لإستقطاب الجماهير الإسلامية حولها¹، ولذلك سعت السلطات العثمانية إلى تشجيع هجرة المسلمين إلى الأراضي العثمانية، وعوّلت في الترويج لذلك على عدد من الأوامر والقوانين العثمانية :

فعلى إثر مؤتمر برلين 1878² إتخذ الباب العالي عدة إجراءات لجلب وإستقبال المسلمين الذين سقطت بلدانهم تحت هيمنة القوى الإستعمارية³، لهذا سنت الدولة العثمانية العديد من القوانين والمراسيم الإدارية والسياسية بشأن الهجرة إلى الولايات العثمانية⁴، فقررت في سنة 1882 منح المهاجرين المغاربة نفس الإمتيازات التي

¹ مصطفى الغاشي : " فكرة الجامعة الإسلامية من خلال النور اللمع في بيان الأصل الجامع لإبراهيم السنوسي، القرن 19 "، ضمن كتاب العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط المغرب، 2005، ص74.

² مؤتمر برلين : عقد في جوان - جويلية 1878، وهو إتفاق دولي بشأن تقسيم جزئي للإمبراطورية العثمانية، إشتريت فيه ألمانيا وروسيا وإنجلترا والنمسا والمجر وتركيا وفرنسا وإيطاليا. للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص520.

³ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص78.

⁴ عمار هلال : الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 - 1918)، دار هوميه، دط، الجزائر، 2007، ص 35.

منحتها للمهاجرين الآخرين، كما أصدرت في سنة 1906 قانون المهاجرين الذي عدد في 23 بند لمختلف الإمتيازات الممنوحة لهم، أما قانون 1907 فقد نص على أن كل مسلم غادر بلده الأصلي للإستقرار نهائيا في الإمبراطورية العثمانية يصبح مباشرة مواطنا عثمانيا يتمتع بقطعة أرض¹، كما إستحدث السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مكتبا خاصا عرف بمكتب الهجرة أوكلت له مهمة إستدعاء أكثر عدد ممكن من المهاجرين المغاربة من الجزائر وتونس وغيرها إلى الأراضي العثمانية²، كما أوفد السلطان إلى الجزائر دعاة الجامعة الإسلامية من إسطنبول لحمل الجزائريين على الهجرة إلى الولايات العثمانية³.

وإستنادا إلى تقارير رسمية فإن دعاة الهجرة العثمانيين قدموا إلى تونس لبث دعايتهم بين الجزائريين المتواجدين بتونس، وقد إستقروا بها تجنباً للوقوع في أيدي السلطات الإستعمارية، ثم يتولى الجزائريون نقل أخبار الدعاية العثمانية إلى الجزائر، وتذكر بعض التقارير الفرنسية أن العثمانيين نقلوا المهاجرين الجزائريين بوسائلهم الخاصة من تونس إلى لبنان⁴، وفي هذا الصدد يشير تقرير فرنسي إلى قدوم أحد الباشوات العثمانيين إلى تونس سنة 1899 ومعه باخرتين لنقل المتطوعين الأوائل إلى أراضي السلطان، وبذلك أضحى أمر الهجرة إلى هناك متداولاً بين الناس في الأماكن العمومية بمدينة الجزائر والمدينة والبليدة وتيارت، ممّا أدى إلى تهافل طلبات جوازات السفر على المصالح الإدارية الفرنسية التي قابلتهم بالرفض، حينها صرح الأهالي أنهم سيهاجرون إلى أراضي السلطان مهما كانت الظروف⁵.

¹ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص78.

² نادية طرشون وآخرون : الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي - أثناء الإحتلال - ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 184.

³ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1900 - 1930)، دار الغرب الإسلامي، ط 4، بيروت لبنان، 1992، ج2، ص112.

⁴ نادية طرشون، المرجع السابق، ص 185.

⁵ نفسه.

وإلى جانب ذلك عوّلت السلطة العثمانية في الترويج للهجرة على صحافتها التي تبنت حملة دعائية واسعة لصالح الجامعة الإسلامية، إذ أن دعوة المسلمين الذين سقطت بلدانهم بيد الإستعمار الأوربي للهجرة إلى البلاد العثمانية من الأهداف الأساسية التي قامت عليها الجامعة، وذلك بهدف تقوية مكانة السلطنة أمام الدول الأوربية¹، إذ ظن العثمانيون أنهم بتسهيل سبل الهجرة المغربية عامة والجزائرية خاصة، سيعوضون عن الخسائر البشرية التي ألحقت بالإمبراطورية بسبب فقدانها لكثير من المناطق في أوربا الشرقية والغربية لصالح النمسا وروسيا وصربيا واليونان وبلغاريا، كما إعتقدوا أن ذلك سيخلق بالنسبة لهم قوة إقتصادية ستعمل على رفع مكانة السلطنة إقتصادياً².

ولهذا السبب لعبت الصحف الموالية للسلطنة العثمانية دوراً هاماً في تشجيع الهجرة الجزائرية إلى البلاد العثمانية، فقد إهتمت جريدة المعلومات³ الصادرة بأسطنبول وصحيفة ثمرات الفنون⁴ الصادرة ببغروت بكل مايتعلق بأمر الهجرة والمهاجرين، فأوردتا بأن البلاد العثمانية تتمتع بمساحات واسعة وأراضي خصبة، وأن السلطان يرغب في تسهيل هجرة المسلمين الذين يجدون بها السلام والطمأنينة وأنه يتمنى أن تتضاعف الهجرة يوماً بعد يوم⁵، وفي خبر لصحيفة الفنون ذكرت : >> إن السلطان أصدر فرماناً ينص على تخصيص 1000 ليرة لتوطين المهاجرين الذين وصلوا حديثاً إلى دمشق من بخارة والجزائر <<⁶، وفي أحد أعدادها كتبت : >> إن إن

¹ نادية طرشون، المرجع السابق، ص ص 185 - 186.

² عمار هلال، المرجع السابق، ص ص 35 - 203 .

³ المعلومات : جريدة عربية سياسية أدبية تجارية كانت تصدر كل أربعاء بأسطنبول، كان مديرها محمد طاهر باي وهي " خادمة لمنافع الخلافة المعظمة الإسلامية والدولة العثمانية ". أنظر : التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 99.

⁴ ثمرات الفنون : صحيفة سياسية علمية أدبية تصدر في بيروت كل إثنين من كل أسبوع، أنشأتها جمعية الفنون الإسلامية سنة 1875 التي كان يرأسها سعد عبد الفتاح حماده، وقد عهد إدارتها إلى عبد القادر القباني، عملت على تنبيه المسلمين إلى " الأخطار المحدقة بهم معتبرة أن نجاتهم منها متوقفة على تمسكهم بالدولة العثمانية وسياسة الجامعة الإسلامية ". أنظر : التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 102.

⁵ نادية طرشون وآخرون، المرجع السابق، ص 184.

⁶ نفسه، ص 188 .

معلومات وردت من دمشق أفادت أن الحكومة قد منحت للمهاجرين الجزائريين الذين وصلوا حديثاً أراضي حمص < ¹، وبهذا أضحي أمر الهجرة إلى أراضي السلطان متداولاً، فقد أصبح كثير من الناس يؤكدون في المقاهي والساحات العمومية أن المهاجرين يتقاضون فرنكين أو فرنكا واحدا كمنحة من طرف الحكومة العثمانية لكل فرد من أفراد العائلة، وذلك ابتداءً من يوم سفرهم إلى سوريا وأن السفر كان مجانياً على حساب الحكومة، وعند وصولهم إلى هناك يجدون مساكن تنتظرهم مرقمة سلفاً وعليها أسماء أصحابها كما توضع تحت تصرفهم الثيران وأدوات الحرث والحصاد والأراضي الخصبة والمساعدات المادية وغيرها ²، ولهذا تضاعفت الهجرة الجزائرية نحو الأراضي العثمانية فأتجهت إلى سوريا ما بين (1899 - 1911) موجات من الهجرة فهاجر إليها عدد من الأسر من مليانة سنة 1899، وبعض العائلات من سطيف عام 1910، وشهدت كذلك هجرة أعداد هامة من الجزائريين إليها فهاجر المئات من قسنطينة وسطيف وبعض مدن الغرب عام 1911، ونزح إليها أكثر من 1200 عائلة من تلمسان وإقليمها سنة 1911³.

وهكذا فإن الدعاية للجامعة الإسلامية شجعت حركة الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، كما كانت وراء إزدياد شعبية السلطان عبد الحميد الذي كان محبوباً في الجزائر ومنتظراً من الجماهير " كرجل الساعة "، فلقد كان الجزائريون يرونه كمنقذ منتظر، لهذا عندما زارت باخرة عثمانية ميناء الجزائر سنة 1906، صعد على متنها ممثلون عن الجزائريين، وطلبوا سرعة قدوم السلطان لإنقاذ الجزائر، ويقال أن خلع السلطان عبد الحميد سنة 1909 قد أدهش الجزائريين فلم يقبلوا سقوطه⁴. ومن جهة أخرى فقد ساهم المهاجرون في نشر دعاية الجامعة الإسلامية في الجزائر، إذ أن هؤلاء كانوا يستقبلون أخباراً من الحجاج والتجار والسياح ويبعثون بها

¹نادية طرشون، المرجع السابق، ص 188.

² التليي العجيلي، المرجع السابق، ص 79.

³ بشير بلاح وآخرون : تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989)، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2010، ص 111.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 114 .

إلى ذويهم في شكل رسائل تحمل معلومات عن التقارب العثماني - الألماني وعلى ثورة تركيا الفتاة وحول التنافس الأوربي في الشرق الأدنى، كما كانت رسائلهم تصف الحرية والأخوة فيه ما جعل بعض الجزائريين يصدقون ما يقرؤون¹، إضافة لأنها كانت تشير إلى سياسة السلطان عبد الحميد تجاه المهاجرين فهي إذا قد شجعت الأهالي على الهجرة، كما وجد أن جريدة " المهاجر " ² الناطقة بإسم المهاجرين المغاربة كانت تستنكر بإسم الجامعة الإسلامية الحكم الفرنسي الذي قاد الجزائريين إلى العبودية وأخضع الشؤون الإسلامية لسلطته، وقد دعت الجزائريين إلى الهجرة إلى أرض الحريات³.

كما ساهمت العديد من العناصر الجزائرية في نسج علاقات حميمة مع مركز الخلافة، إذ أن إستقرار العديد من العائلات في المشرق العربي - وخاصة عائلة الأمير عبد القادر - كان له الفضل في الدعاية لصالح الجامعة الإسلامية بالجزائر، فقد شاع بها أن المهاجرين قد تمتعوا بسمعة عظيمة وتولوا المناصب العليا، كما أقر الفرنسيون أنفسهم بأن الجزائريين في الشرق الأدنى كانوا يتمتعون بحرية أكثر وتسهيلات أفضل، فقد أعطوا الأراضي وتسهيلات للإقامة في الولايات العثمانية، كما عفو من الخدمة العسكرية وأدخلوا إلى كل المؤسسات العثمانية، وكانوا ممثلين في جميع المستويات⁴، فقد إكتسب الأمير علي ابن الأمير عبد القادر⁵ مكانة خاصة لدى السلطان عبد الحميد الثاني فقد تزوج بأخت عزت باشا العابد نديم السلطان، وعرف بنشاطه

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 121 - 126.

² المهاجر : جريدة أسبوعية أصدرها محمد بن التهامي شطة في 11 / 01 / 1912 بدمشق، وهو الذي غادر الجزائر و إستقر في تونس طيلة خمسة عشر سنة، ثم غادرها سنة 1908 إلى دمشق أين إهتم بأوضاع المغاربة المهاجرين، فأصدر هذه الجريدة للدفاع عن مصالحهم، فشنت هجومات عنيفة على السياسة الإستعمارية في كل من الجزائر وتونس، ويبدو أن الأمير علي بن الأمير عبد القادر كان يشرف على شؤونها المالية. أنظر : التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص198.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 121 - 122 .

⁴ نفسه، ص125 .

⁵ الأمير علي : من مواليد 1857 وهو الابن السادس للأمير عبد القادر، كان من المتحمسين لخدمة مشروع الجامعة الإسلامية، تزعم المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي عام 1911، ويوم دخلت الدولة العثمانية في مفاوضات الصلح مع إيطاليا إنسحب الأمير علي و لما طلب إليه البقاء قال : " إنما جئت للجهاد ولم أجيء لعقد الصلح "، توفي =

السياسي والدبلوماسي والعسكري في البلاد العثمانية، فكان المبعوث الرسمي من طرف الدولة العثمانية إلى ليبيا لتنظيم المقاومة فيها ضد الطليان سنة 1911، وكمستشار للعلاقات العثمانية الألمانية أيام الحرب العالمية الأولى¹، وبهذا تحصل المهاجرون على إمتيازات في الشرق الأدنى أدت لبروزهم كدعاة للجامعة الإسلامية.

ولما كان هؤلاء على إتصال مستمر ودائم ببلدهم الأصلي الجزائر، فقد ساعد إتصالهم على تدعيم سياسة عبد الحميد الثاني تجاه الهجرة الجزائرية، إذ إنتشرت بالجزائر أخبارهم فتحدث الجزائريون عن أحوالهم وعن إستقبالهم للمهاجرين الجزائريين وتوفير الرعاية لهم، كما أن هؤلاء الأمراء دفعوا بالمهاجرين إلى طلب الهوية العثمانية²، وبهذا ساهموا في ربط الجزائريين بالخلافة العثمانية، كما أنهم ساعدوا بإتصالاتهم على تناقل أخبار الخلافة وما آلت إليه خاصة بعد موجة الغزو الغربي التي أسقطت العديد من ولاياتها، الأمر الذي جعل الجزائر مواكبة لما يظهر من تطورات وأفكار بالمشرق العربي وخاصة ماتعلق منها بأنباء النهضة الفكرية.

ثانيا : دخول الصحافة العربية المشرقية إلى الجزائر

على الرغم من الإجراءات التعسفية التي إتخذتها السلطات الفرنسية الإستعمارية لعزل الجزائر عن العالم الإسلامي، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الإطلاع على الإنتاج الفكري المشرقي³، الذي كان يصل إلى الجزائر في شكل كتب ومنشورات وجرائد كانت تحمل دعاية لصالح الجامعة الإسلامية وضد الحضور الفرنسي⁴، و قد كانت هذه الصحف تتسرب إلى الجزائر عن طريق المسافرين والحجاج والطلبة عند رجوعهم من المشرق العربي، أو عن طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع

= بأسطنبول في 1918. أنظر : نادية طرشون، المرجع السابق، ص 310 - 312. كذلك، صالح خرفي : الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، دت، ص103.

¹ نادية طرشون، المرجع السابق، ص 312.

² نفسه، ص188.

³ محفوظ تاونزة : " القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية من 1914 إلى 1948 "، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عمار بن سلطان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، نوقشت في 2001 / 2002، ص13 .

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، صص 115 - 116.

بإستقلاله¹، أو عن طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أشد وطأة بها فكانت بذلك أهم القناطر التي عبرت عليها دعاية الجامعة الإسلامية².
ومن أهم الصحف التي إنتشرت عن طريقها فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر، جريدة " العروة الوثقى" التي كانت تتسرب إليها عن طريق فرنسا، فباتت تصل إلى بعض المثقفين الجزائريين الذين كانوا يحرصون حرصا كبيرا على قراءتها وتبادلها مع غيرهم، وكان البعض يقوم بنسخها بخط يده خفية عن عيون الإستعمار ورقابته الصارمة³، كما كانت صحيفة " المؤيد" ⁴ المصرية معروفة في الجزائر منذ 1899، وكانت الحكومة العامة تراقبها ولم ترخص لصاحبها بدخول الجزائر⁵، كذلك لقيت جريدة " المعلومات " العثمانية رواجاً كبيراً فيها؛ حيث كانت تباع في الوراقة العربية الموجودة بشارع راندون Randon في مدينة الجزائر التي كانت تصلها وتقرأ فيها بشكل واسع؛ فقد كان كثير من الجزائريين يشتركون للحصول عليها وهي تصلهم بإستمرار على حد قول نائب عمالتها⁶.

كما وجد أن لمجلة " المنار" - التي كانت تقدم عروضاً عن جميع نشاطات الجامعة الإسلامية - قراء دائمون بالجزائر، فقد كان لها أكبر الأثر في نفوس الجزائريين الذين كانوا يتسابقون لشراءها >> لأنها غذاؤهم الفكري والقلبي، كما

¹ محمد حمدان وآخرون : الموسوعة الصحفية العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دط، تونس، 1995، ج4 ، ص 69.

² خير عبد النور وآخرون : منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دط، الجزائر، 2007، ص 88.

³ تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ، منشورات ANEP، ط 5، الجزائر، 2001، ص129.

⁴ المؤيد : جريدة يومية صدر العدد الأول منها في القاهرة أول ديسمبر 1889، أسسها الشيخ علي يوسف، وهي جريدة تدعو إلى اليقظة العامة وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد الإسلامية ومقاومة الإستعمار والإستبداد السياسي والظلم الإجتماعي، كما كانت تبث حب الحرية في النفوس وتدعو إلى نهضة العرب والمسلمين ووحدتهم، كان من أبرز كتابها في مطلع عهدها الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين، توقفت عن الصدور في عام 1912. للمزيد أنظر : تركي رابح، المرجع السابق، ص130. كذلك، مروة أديب، المرجع السابق، ص 196.

⁵ شارل روبيير أجيرون : الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 - 1919) ، ترجمة م. حاج مسعود و ع. بلعربي، دار الرائد، دط، الجزائر، 2007، ج2، ص 507.

⁶ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 100.

إعتبروها لسان الإسلام الأكبر ومنبر الإصلاح الأعظم >>¹، وبهذا تركت المنار صدا واسعا في أوساط المثقفين الجزائريين لاسيما رواد الحركة الإصلاحية، الذين كانوا يقرؤون فصولا منها في نواديهم ومجالسهم ويوجهون تلاميذهم إليها²، فقد مثلت المنار بالنسبة لهم >> أكمل آثار الشيخ رشيد رضا في حياة الإمام (...). وأنفس نذر علمي إشتملت عليه هو دروس الإمام في التفسير التي هي النواة الأولى لتفسير المنار >>³، ولهذا كانت المنار أكبر معين لهم على تصور منهج الإصلاح الذي يجب أن يقوموا به في الجزائر، فقد كانت الجريدة توظف الأمة وتعمل على تطهير نفوسها وعقائدها من الأباطيل و الفساد، فهي التي نشرت مدرسة الإمام محمد عبده في الإصلاح الديني وعرفت الجزائريين بها⁴، ولما كانت صلة رواد الحركة الإصلاحية بالمنار جد وثيقة⁵، لذلك عبر الشيخ عبد الحليم بن سماية⁶ وعبد القادر المجاوي⁷ ومحمد ابن

¹ محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، الطباعة الشعبية للجيش، دط، الجزائر، 2007، ج2، ص 29.

² نفسه.

³ محمد البشير الإبراهيمي : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2009، ص ص 43 - 44.

⁴ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص 29.

⁵ محفوظ تاونزة، المرجع السابق، ص 14.

⁶ ابن سماية : من أوائل المصلحين الجزائريين، تنتمي أسرته إلى آل سماية وهي أسرة تركية من أتراك أزمير، ولد في 1866 بالجزائر التي تعلم بها، إضافة إلى تعلمه بتونس، تولى خطة التدريس بالعاصمة في ديسمبر 1896، ثم بالجامع الجديد في أكتوبر 1900، ودرّس بالمدرسة الثعالبية أيضا، توفي في 1933. أنظر : خير الدين شترة : إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900 - 1939) ، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 326.

⁷ عبد القادر المجاوي : من مواليد تلمسان سنة 1848 درس في المغرب بجامع القرويين بفاس، عاد إلى الجزائر سنة 1869 وأخذ يمارس التدريس بزواياها ومساجدها، إذ كان إماما وخطيبا يدعو للنهوض الديني والعلمي ومحاربة البدع والخرافات حتى ينقشع ظلام الفساد والاعتقادات الباطلة التي عششت في العقول، تعرض كثيرا لمضايقات المستعمر الذي تصدى لنشاطه الإصلاحي الذي يهدد كيانه، توفي سنة 1914. أنظر : محمد الصالح الصديق : أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر، ط 2، الجزائر، 2008، ج1، ص ص 40 - 46 .

مصطفى الخوجة¹ للشيخ محمد عبده عند زيارته إلى الجزائر عن الإحساس العميق الذي يكنونه إليها، ورجوه >> أن يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوءها لئلا تمنع المنار من الجزائر، وقالوا له : إننا نعدده مدد الحياة لنا، فإذا إنقطع إنقطعت الحياة عنا <<²، وبهذا نجد أن أفكار المنار ورسالتها قد تغلغت في أوساط الجزائر، فكانت بذلك إحدى أهم الوسائل التي روجت لفكرة الجامعة الإسلامية بها.

إن ما يجب التأكيد عليه أن الجزائر ورغم الرقابة الصارمة كانت تصلها جل الجرائد المشرقية المتخصصة قليلا أو كثيرا في دعاية الجامعة الإسلامية، فقد تدفقت لها من سائر البلاد العربية الجرائد التالية : "العرفان" و"البيان" و"المقطم" و"الجهاد" و"التقوى" و"نور الإسلام" و"المنهاج" و"الفتح" و"الأهرام" من مصر، و"الهداية" و"صدى الإسلام" و"الأخوة" من بغداد، و"الجزيرة" و"الأيام" من سوريا³، ولقد كانت هذه الصحف الصحف تهتم إهتماما بالغا بكل ما يحدث في المشرق وتحليله والتعليق عليه في اتجاه يخدم الجامعة الإسلامية، إذ كانت تحمل دعاية قوية لصالحها فكانت تدعو الجزائريين إلى مقاومة التجنيس ورفض التغريب والإحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين⁴، كما وجهت هجماتها لفرنسا في معاملتها غير اللائقة للإسلام والعروبة بالجزائر، ومثال ذلك ما

¹ ابن الخوجة : هو محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن الخوجة الملقب بالمضربة والمشهور بالكمال، من مواليد 1865 بمدينة الجزائر التي نشأ وتعلم بها، وهو شاعر وكاتب وعالم بالشريعة الإسلامية واللغة العربية، عمل في جريدة المبشر الرسمية كمحرر للغة العربية من 1868 إلى 1901، عين مدرسا بالجامع الكبير، قال عنه عمر راسم: "شاعر الجزائر في وقته وأفصح علماءها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كان شغوفا بمحبة الشيخ محمد عبده، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرف الناس به"، توفي عام 1915. أنظر : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، ط2، بيروت لبنان، 1980، ص 138. كذلك، عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، دط، الجزائر، 2009، ج5، ص ص 319 - 325.

² محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1849 - 1905)، دار الفضيحة، ط2، القاهرة مصر، 2006، ج1، ص 872.

³ محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1978، مج1، ص ص 56 - 57 .

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص116.

وجد على صفحات جريدة المنار التي كتبت مقالة بعنوان " فرنسا والجزائر " جاء فيها :
>> نصحنا فيها لهذه الدولة العظيمة بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسن لتملك قلوبهم وتأمين غائلتهم، ونحن نعلم أن فرنسا لم تكن مرتاحة إلى تلك المعاملة القاسية التي كانت تعامل بها مسلمي الجزائر ولكنها كانت ترى أنها هي الطريقة المتعبة وأنه يجوز أن يظهر لها خير منها <<¹، كذلك أحدثت جريدة " اللواء " سنة 1908 ضجة عنيفة ضد التصريحات والقرارات الرجعية التي أصدرتها فرنسا في مسألة تعليم الجزائريين، وهو ما أثار مخاوف الحكومة العامة التي أخذت في تعزيز الرقابة عليها³. وبذلك كانت هذه الصحف الأداة التي غدت فكر الجزائريين بالجامعة الإسلامية التي آمنوا بها، فكانت إذا السبيل الذي جعلهم على معرفة تامة بكل ما يجري في المشرق، فقد أشار تقرير لجنة البحث البرلمانية الفرنسية في سنة 1900 إلى أن الشبيبة الجزائرية كانت متفتحة على القضايا السياسية، خاصة المتعلقة منها بالعالم الإسلامي والعربي، فكانت على دراية تامة بالحركات السياسية في المشرق العربي مثل حركة تركيا الفتاة وحركة الإصلاح الديني الإسلامي التي تزعمها جمال الدين الأفغاني و تلميذه محمد عبده، وقد حدث ذلك كله بفعل التأثير الذي تركته الصحافة العربية المشرقية في الرأي العام الجزائري⁴، وهو ما يدلنا على أن دعاية الجامعة الإسلامية وفكرتها قد إنتشرت في الجزائر، عن طريق وسائلها التي روجت لمفهومها وبلغت أفكارها، إذ كان لها دور هام في إيقاظ الضمير الإسلامي بالجزائر وزعزعة الجمود الفكري للجزائريين في ذلك الوقت⁵.

¹ محمد رشيد رضا : " فرنسا والجزائر "، مجلة المنار، العدد الثالث، مج 6، الأربعاء 3 ماي 1993، ص 79.

² اللواء : أسسها الزعيم المصري مصطفى كامل في القاهرة سنة 1900، وهي جريدة تعنى بشؤون العرب والمسلمين عناية كبيرة وتدافع عن الخلافة الإسلامية في الأستانة، كانت منبرا عاما للوطنية الصادقة والأفكار السياسية القومية لهذا كانت تدافع عن الجزائر كثيرا في وجه المظالم الإستعمارية. أنظر : تركي رابح، المرجع السابق، ص ص 130 - 131.

³ شارل روبير آجبرون، المرجع السابق، ص 508.

⁴ محمد حمدان وآخرون، المرجع السابق، ص 70.

⁵ عبد الكريم بوالصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 - 1935)، عالم المعرفة، دط، الجزائر، 2008، ص 63.

ومما لا شك فيه أن أهمية الصحف المشرقية تكمن في أنها كانت بمثابة مصادر إعلامية هامة جعلت الجزائريين يطلعون على أحداث المشرق، الذي أصبحوا يتلهفون لسماع أخباره ومعرفة أحواله وتتبع نشاطه والإنفعال بكل ما يحدث فيه من تطورات¹، خاصة تلك المتعلقة منها بالنهضة الفكرية التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي... وغيرهم، إضافة لتتبع أخبار الخلافة العثمانية ونشاط الجامعة الإسلامية.

ثالثا : زيارة محمد عبده وآثارها

تعود علاقة الشيخ محمد عبده بالجزائر وأهلها إلى الثمانينات من القرن التاسع عشر حيث كانت له صلات مع الأمير عبد القادر وإبنه محمد ومحي الدين، وعدد من أبناء الجالية الجزائرية المهاجرة والمقيمة ببغداد ودمشق عندما حل الشيخ في زيارة إلى هناك، وتذكر بعض الكتابات التاريخية أنه عندما توفي الأمير عبد القادر كتب الشيخ محمد عبده معزيا ولديه محمد ومحي الدين بعبارات مؤثرة تدل على مدى عمق الإحساس وصدق العلاقة، كما كانت للشيخ عبده لقاءات وعلاقات مع بعض علماء الجزائر عندما زار تونس في 1884²، أما زيارته للجزائر فلم تتم في تلك السنة لوجود لويس تيرمان Tirman الحاكم المتشدد على رأس حكومة الجزائر، أما زيارة سنة 1903 فقد تهيأ لها ظرف تولي شارل جونا³ Jonnart على رأسها حكومة الجزائر⁴، هذا الحاكم الذي عرف بسياسته المنفتحة على الجزائر فقد حث على الحفاظ على

¹ تركي رابح ، المرجع السابق، ص 128.

² سليمان بن رابح : " العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين (1919 - 1939) " ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) ، تحت إشراف صالح فرкос، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، نوقشت في 2007 / 2008 ، ص ص 106 - 107.

³ جونا³ : حاكم الجزائر العام لثلاث مرات : أولها من 3 أكتوبر 1900 إلى جوان 1901، وإستقال في نهايتها بسبب هجومات المستوطنين، والثانية من ماي 1903 إلى فيفري 1911، أما الفترة الثالثة من 30 جانفي 1918 إلى جوان 1919، وإستقال في آخرها بفعل حملات المستوطنين الذين أسموه بـ " جونا³ العربي". أنظر : بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

⁴ أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 2003، ص 113.

التقاليد الوطنية ونشر اللغة العربية، وإحترام الشريعة الإسلامية كما أنه سمح بزيارة محمد عبده إليها¹.

وفي إطار الحديث عن الزيارة يذكر رشيد رضا عن أن الشيخ أخبرهم بأنه كان ينوي السفر إلى أوروبا ثم زيارة تونس والجزائر، وأنه ينوي دراسة أحوال المسلمين فيهما، كما أنه يريد نشر مبادئه في الإصلاح والاتصال بتلاميذه الذين كانوا يكتبون له²، وقد حاول رشيد رضا كتمان خبر زيارة الشيخ للجزائر لئلا يبادر الأعداء إلى بث الدسائس لمنع فرنسا إياه من دخول البلاد، ومع ذلك تسرب الخبر وبادر أولئك الأعداء إلى ما كان ينتظر منهم فكتبوا في الوشاية بالشيخ محمد عبده رسالتين إحداهما أرسلت من مصر والأخرى من الإسكندرية³، وكلتاهما تحرض الحاكم العام الفرنسي شارل جونار على الشيخ محمد عبده، وتقول إن الهدف من سفره إلى الجزائر >> تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبذ طاعتها وإنه قادر على ذلك <<⁴، لكن ورغم وصول هذه الرسالتين إلا أن الشيخ استطاع الحصول على رخصة دخول الجزائر عند سفره إلى فرنسا، هذه الرخصة التي لا تمنح إلا لمن تعهد بعدم إثارة الشغب والخوض في المسائل الحساسة والسياسية⁵، وبعد تمكنه من ذلك سافر الشيخ إلى جنوب فرنسا، ومن مرسيليا ركب الباخرة إلى الجزائر وكان مرافقه الشيخ أبو القاسم الحفناوي⁶، وعند وصول الباخرة إلى الجزائر في 27 أوت 1903 فارقه الشيخ الحفناوي، وأحيط الشيخ عبده بالجواسيس الذين قال عنهم رشيد رضا إنه لا يخفى عليهم أمره⁷.

¹ إبراهيم مياي : مقاربات في تاريخ الجزائر (1830 - 1962)، دار هومة، دط، الجزائر، 2007، ص 233.

² أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي...، ص115.

³ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج1، ص ص 870 - 871.

⁴ نفسه.

⁵ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998، ج5، ص585.

⁶ أبو القاسم الحفناوي : من مواليد 1852 وهو كاتب وشاعر، تعلم بعدة زوايا منها زواية طولقة (بمدينة بسكرة) وزاوية الهامل (بجنوب مدينة بوسعادة)، شارك في تحرير الجريدة الرسمية المبشر من (1884 - 1926)، تولى منصب الإفتاء المالكي سنة 1936 ودرس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر ابتداء من 1897، من آثاره " تعريف الخلف برجال السلف "، توفي سنة 1941. أنظر : عادل نويهض، المرجع السابق، ص121.

⁷ أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي...، ص ص 115 - 116.

وقد بقي الشيخ في الجزائر مدة عشرة أيام زار فيها قسنطينة زيارة خاطفة، وكانت إقامته في منزل عبد الحليم بن سماية وكان يلتقي بالزوار يوميا في جامع الحاج مصطفى الأكل بالعااصمة الجزائر، إذ أن الشيخ >> وجد له حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم، وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار <<¹، ومن تلاميذه الذين لاقاهم الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة²، عبد الحليم بن سماية عمر بن قدور³ وعمر راسم⁴، راسم⁴، كما التقى بشيوخ العلم المتصلين بالإدارة الفرنسية ومن هؤلاء محمد بن الشنب⁵ والمولود بن الموهوب⁶ وعبد القادر المجاوي... وغيرهم من الذين اجتمع بهم الشيخ

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج1، ص872.

² يذكر شارل روبير آجيريون أن الشيخ محمد عبده لم يجتمع في الجزائر بآبن الخوجة مصطفى ولا بمحمد بن شنب، وأنه إستنكر الإثارة السياسية التي يقودها الشبان الجزائريون وإثر عودته إلى مدينة الجزائر وقعت مجادلة بينه وبين بن بريهمات. أنظر : شارل روبير آجيريون، المرجع السابق، ص ص 512 - 513.

³ عمر بن قدور : من مواليد عام 1886 بالجزائر وهو كاتب وشاعر ومن رواد الصحافة العربية الجزائرية، عني بالقضايا التي تهم المسلمين وبالقومية الإسلامية، التي كرس لها جريدته الفاروق التي أنشأها في سنة 1913، كما كانت له عدة مقالات إصلاحية ثورية نشرها في جريدة الحضارة بالأستانة والمؤيد واللواء بمصر، والتقدم والمشير ومرشد الأمة والحاضرة بتونس، من أبرز المشاريع التي دعا إليها مشروع التعاون الإسلامي بين مفكري المغرب العربي ليكون نواة لتعارف يضم كل البلاد الإسلامية، توفي في عام 1932. للمزيد أنظر : عبد المجيد بن نعمة وآخرون : موسوعة أعلام الجزائر (1830 - 1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 252 - 261.

⁴ عمر راسم : من مواليد 1883 بمدينة الجزائر، وهو صحفي وخطاط كبير، ومن الرعيل الأول في الإصلاح بالجزائر فقد عرف منذ صباه بأفكاره الإصلاحية، من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده الإصلاحي، أنشأ جريدة " الجزائر " في 1908 ثم جريدة " ذو الفقار " في 1913، توفي في 1959. للمزيد أنظر : عادل نويهض، المرجع السابق، ص243.

⁵ محمد بن الشنب : من مواليد 1869 بالمدينة، وهو باحث وعالم بالأدب، و من أهم الشخصيات المثقفة التي خدمت مرحلة اليقظة في الجزائر مطلع القرن العشرين، عين أستاذا للأدب العربي في كلية الجزائر، منحه الجامعة الجزائرية لقب دكتور في الآداب 1920، عني بتصنيف وتحقيق ونشر عدة كتب، توفي في 1929. أنظر : نفسه، ص ص 189 - 190. كذلك، تركي رابح، المرجع السابق، ص 135.

⁶ المولود بن الموهوب : من مواليد 1866 وهو كاتب وخطيب وشاعر، نشأ وتعلم بقسنطينة، عين سنة 1895 أستاذا للغة والعلوم الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة، ثم مفتيا للمذهب المالكي بها سنة 1908، وفي نفس السنة أسهم في تأسيس نادي صالح باي الثقافي وفيه كان يلقي محاضراته، كما كان يلقي دروس الوعظ في الجامع الأخضر، توفي في 1939. أنظر : عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 324 - 325.

طوال فترة وجوده بالجزائر، فقد ذكر رشيد رضا أن محمد عبده >> قد نال مراده
فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء الذين يقدرّون الإصلاح قدره، ومن خيارهم في الجزائر
الشيخ محمد بن الخوجة صاحب المصنفات والأستاذ الشيخ عبد الحليم بن سماية <<¹.
وفي أثناء زيارته ألقى الشيخ درسا² في جامع حي الحامة فسر فيه سورة
العصر، مستنبطا منها الإيمان الصحيح والعمل الصالح المفيد والتواصي بالحذر والسير
ببطئ لتحقيق الغايات البعيدة³، أما رشيد رضا فقد قال إن الشيخ عبده قد حث
الجزائريين على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية ونصحهم بالعمل على عمران
البلاد، ومسالمة الحكومة وذلك بترك الخوض في السياسة⁴، ويذكر أبو القاسم سعد الله
بأن الشيخ تكلم أمام بعض الجزائريين عن الإصلاح الإسلامي والنهضة في الشرق
الأدنى وتضامن المسلمين، وقد ترك إتصاله هذا إنطباعا إستمر لوقت طويل، ويقال إن
عبده رجع يحمل ذكرى سيئة عن الجزائريين، فقد نقل عنه أنه قد صدم وحزن من
حالة التدهور الواضحة بين مسلمي الجزائر، ولاسيما من إختفاء اللغة العربية⁵، ويذكر
إبراهيم العقون في مذكراته بأن ما جعل محمد عبده يأخذ هذا الإنطباع عن
الجزائر، هو إضطهاد الإستعمار الفرنسي للشعب وللثقافة الوطنية⁶.
وعلى العموم فقد تركت هذه الزيارة⁷ بصماتها على نخبة من الجزائريين الذين
تأثروا بأفكار محمد عبده، فعلى المدى القريب نشط تلاميذ محمد عبده و مدرسة المنار
في مجال الإصلاح بالجزائر، فأصدروا جرائد تعلن أنها تسير في ركاب الفكر العبدوي

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج1، ص872.

² دام الدرس حوالي ساعتين وكان عدد الحاضرين حوالي 200 شخص من مختلف أنحاء القطر الجزائري. للمزيد

أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص 591.

³ أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي...، ص 117.

⁴ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج1، ص873.

⁵ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ص 115.

⁶ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 65.

⁷ أنظر الملحق رقم (1).

إذ كانت تنتشر أفكاره نقلا عن المنار، فبرزت جريدة " ذو الفقار " ¹ التي إعتبر مؤسسها عمر راسم الشيخ عبده مديرا دينيا لها، وقد جاء في عددها الأول : " ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وأنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها رجال الإصلاح المخلصين"، كما حلى غلاف العدد الثالث منها بصورة عبده التي رسمها بريشته المبدعة، مشيرا إلى أن الشيخ عبده كان يحارب أصحاب العمام الجامدين، أما هو فسيقاوم أبناء المرابطين (الطرقيين) وأصحاب المعطف الطويل ويريد به المتفرنسين²، كما كانت جريدة الإحياء³ تنشر أفكار محمد عبده عن الشؤون الإسلامية، الإسلامية، فقد كانت تدعو لتتقيف الجزائريين عن طريق لغتهم العربية ودينهم الحنيف الخالي من الخرافات والبدع، إذ جاء في عددها الأول " أيها المسلمون حافظوا على عوائدكم المحمدية، وشعائركم الدينية لباسا ومعاشا وديانة، ولا تتبعوا الأوربيون إلا فيما هو موافق لدينكم وصالح لأحوالكم الوقتية " ⁴، كذلك كانت جريدة المغرب ⁵ تنشر أفكار محمد عبده عن الجامعة الإسلامية⁶.

¹ ذو الفقار : جريدة أسبوعية عربية إصلاحية، برز العدد الأول منها في 1913/10/05 بمدينة الجزائر، أسسها عمر راسم الذي كان يتحمل عبئ تحرير فصولها تحت إسم مستعار له " ابن المنصور الصنهاجي"، تمثلت إهتماماتها الأولى في الدفاع عن الإسلام، و كشف مكائد اليهود والمشركين في المجتمع الجزائري، والدعوة للإصلاح الإجتماعي، وبعد صدور أربع أعداد منها كتبت أنفاسها. أنظر : محفوظ تاونزة، المرجع السابق، ص 19. كذلك، محمد ناصر : الموسوعة التاريخية للشباب عمر راسم المصلح الثائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، دط، الجزائر، 1984، ص9.

² نفسه ، ص 13.

³ الإحياء : أول جريدة عربية تصدر بالقطر الجزائري، برزت في العاصمة في 14 فيفري 1907 وهي لمستشرق فرنسية تدعى جان ديرايو Destayaux المتحمسة للقومية الإسلامية. أنظر : محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1980، ص ص29- 30 .

⁴ محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 29 - 30.

⁵ جريدة المغرب : من أوائل الصحف العربية صدر العدد الأول منها في أبريل 1903، كان صاحب إمتيازها الفرنسي بيار فونطان P. Fontana، كانت حسب مقالات كتابها مهتمة بالجانب الديني والإجتماعي بغية التأثير في الجزائريين ليسيروا في طريق العلم، وهي النزعة التي عرف بها الكتاب الإصلاحيون كعبد الحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي ... وغيرهم، توقفت عن الصدور في 1904. أنظر: نفسه، ص ص 25- 26.

⁶ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ...، ص 115.

كما قام محمد بن مصطفى يدرس سورة العصر على الطريقة العبدوية، وكان بن سماية في العاصمة وابن الموهوب في قسنطينة ينشران الفكر العبدوي¹، وكتب محمد بن مصطفى تقریظاً للتفسير الذي ألقاه الشيخ محمد عبده عن سورة العصر وأرسله إلى المنار فنشرته، كما كتب ابن سماية قصيدة في خمسين بيتاً، يمدح فيها زيارة الشيخ وعلمه و أرسلها لرشيد رضا فنشرها في جريدة المنار ومما جاء في هذه الأبيات :

"قأنت لنا شمس تنير على المدى
أدير بذكراك الذي منك قد مضى
يذكرنيك المجد والعلم والتقوى
وتلوى إلى تلك المجالس فكرتي
محافل كان العلم فيها مجالسي
فأسمع فصلاً من حكيم وحكمة

أتى نورها من غير أن نتطلعاً
فأشرب كأساً بالصفاء مشعشعاً
فأنظر من عليك عرشاً مرفعاً
فتترك قلبي بالخيال ممتعاً
أسامر بدراً بالجلال تقنعاً
إذا ما بدت خرت ذرى الزور ركعاً"²

ومثلما نلاحظ فإن هذه القصيدة آية من آيات صلة علماء الجزائر برواد الجامعة الإسلامية، فهي إحدى الدلائل التي تؤكد إعجاب مصلحي الجزائر بهم، كما أنها تعبر عن عمق العلاقة بينهم.

كما دارت بين ابن سماية ومحمد عبده بعد إنتهاء الزيارة مراسلات نشرتها المنار، ومنها ما كتبه³ الشيخ من جزيرة صقلية إلى أحد علماء الجزائر المصلحين حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية مدحه فيها بالفضل والعلم والأخلاق، وبأنه سيكون إمام قومه في الهداية إلى سبيل الإرشاد، كما حثه على الإستمرار في القيام بهذه المهمة⁴ فقد أوصاه بذلك بالعبارة التالية : >> وأفضل ذلك فيما أرى إستمرارك على مزاوله كلام البلغاء من أهل اللسان العربي، وإتمام ما سبقت

¹ أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي ..، ص117- 118.

² رشيد رضا : " قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام "، مجلة المنار، العدد 23، مج 6، الخميس 18 فيفري 1904، ص ص 917 - 918 .

³ الرسالة مكتوبة في بلم 30 جمادى الآخرة سنة 1321هـ. للمزيد أنظر : محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج2، ص ص 617 - 618 .

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص 593.

لك البداءة فيه من اللسان الفرنسي، ثم دراسة أخلاق البشر، وما يكون له أثر في تحويلها بتدقيق يجدر به لقب التحقيق، ومن ذلك النظر في تاريخ الأمة الإسلامية، وتنقل الدين في أطواره، وعلل ذلك وأسبابه، حتى يتيسر الحكم في أمراض النفوس، وحسن إختيار الدواء الذي يناسبها < >¹، وبالإضافة إلى ذلك حثّه على الإستعانة بإخوانه ابن الخوجة وصاحب الفضيلة مفتي الحنفية بوقندورة، هذا وأشاد لابن سماية كمال عقله ومعرفته بما إليه حاجة المسلمين اليوم، وحذره من النظر في السياسة لأن في ذلك كبير الخطر قريب الضرر على الجزائريين²، وقد كانت هذه الرسالة درسا لابن سماية ولغيره لنشر رسالة الجامعة الإسلامية في الجزائر، إذ أن حثّه على إستمرار تبليغ رسالته لهي دعوة للنهوض بالأمة الجزائرية فكريا ودينيا، لتستطيع العيش في سلام وراحة.

وخلاصة القول أن زيارة محمد عبده كان لها أبعاد مهمة إذ سمحت فرنسا على عهد جوناك لمجلة المنار بالدخول إلى الجزائر³، إضافة إلى أنها ساهمت في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالبلاد الجزائرية، فقد أصبح الشيخ محمد عبده ذائع الصيت ويحظى بإحترام وتقدير كبير بين الجزائريين⁴، كما أن أفكاره إنتشرت في الأوساط الإصلاحية بسرعة مذهلة، فأصبحت تذكر في الخطبة الواحدة والدرس الواحد مرارا، وبهذا إنتشرت دعوته في كل ربوع الجزائر وأعجب بمذهبه الجزائريين الذين تأثروا كثيرا بفكرته الداعية للجامعة الإسلامية⁵.

وبالإضافة إلى ماسبق ساهمت عوامل أخرى في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر، فلقد كان الحجاج موردا فياضا لنقل الأفكار والأخبار والإبقاء على الروابط الروحية بين الجزائر والمشرق العربي، فقد جمع هؤلاء بين أداء الفريضة والزيارات واللقاءات بالعلماء ورجال الإصلاح المشرقيين والمغربيين المهاجرين، كما كان هؤلاء

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج 2، ص 617.

² نفسه .

³ أبو القاسم سعد الله : أفكار جامعة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 2005، ص81.

⁴ شارل روبر آجيرون، المرجع السابق، ص 508.

⁵ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص 31.

الحجاج يحملون معهم القناعات الفكرية الجديدة التي ترسخت في أذهانهم، والجزائريون المتخصصون في الدعاية للجامعة الإسلامية عند عودتهم للجزائر، لهذا كان هؤلاء وسيلة مهمة في نقل تطورات الخلافة العثمانية والنهضة الفكرية بالشرق لها¹.

ومن جهة أخرى لعب التجار الجزائريون الذين كانت لهم تجارة مع المشرق العربي دورا كبيرا في الدعاية للجامعة الإسلامية، إذ تكلم هؤلاء عن وضعية المهاجرين الجزائريين بالولايات العثمانية حيث أفادوا أنه قد أصبح لدى بعضهم ملكيات زراعية وعقارية، وأدمج بعضهم في سلك الموظفين المدنيين أو العسكريين²، كما كانوا يشيرون عند وصولهم إلى الجزائر أخبار ومعلومات عن الدولة العثمانية والإصلاح الديني بالشرق.

وخلاصة ما نستنتجه من هذا الفصل أن زيارة³ محمد عبده للجزائر سنة 1903 كان لها الأثر الواضح على تفعيل الحياة الفكرية والثقافية للجزائريين في بداية مرحلة النهضة، كما تركت وقعا هاما على دعاة الإصلاح الذين تأثروا كثيرا بفكرة الجامعة الإسلامية من خلالها، أو عن طريق الصحافة المشرقية التي مثلت أهم عامل ساهم في تعرفهم على تلك الأفكار، لأن تركيز النسخة المشرقية من الكتب والصحف في مادتها على الدعاية للجامعة الإسلامية أدت إلى تفاعل الجزائريين مع تلك الأفكار التي تأثروا بها، أما الدعاية العثمانية للجامعة الإسلامية فقد حملتهم للهجرة إلى المشرق العربي ومن هناك ساهم المهاجرين في توجيه أنظار إخوانهم إلى الشرق الأدنى ودعاهم للتعرف على مبادئ الجامعة الإسلامية، خصوصا بعد تولي السلطان عبد الحميد شؤون الدولة العثمانية ودعوته للإهتمام بالهجرة الجزائرية حتى أصبح مصدر تدعيم لنشاطات الجامعة الإسلامية بالجزائر.

¹ أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ العربي...، ص ص 524 - 525.

² نادية طرشون، المرجع السابق، ص 189.

³ أنظر الملحق رقم : (1).

الفصل الثالث : أثر فكرة الجامعة

الإسلامية في الجزائر

أولا : أثر رواد الجامعة الإسلامية بالجزائر

ثانيا : المصلحون الجزائريون وفكرة الجامعة

الإسلامية

الفصل الثالث : أثر فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر

كان للدعوة التي قادها أقطاب الجامعة الإسلامية أثر واضح في نشر الفكر الإصلاحي بالجزائر، فرغم الحصار الذي ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامي، إلا أن خروج عدد من الطلبة للدراسة في الجامعات الإسلامية بالشرق العربي، جعلهم يرجعون إلى الجزائر وهم محملون بالأفكار السائدة هنالك، مع محاولتهم العمل على نشرها قصد تطبيقها في بلادهم وفق ظروفها، متبعين في ذلك منهجا عمليا لنظرياتهم الفكرية يقوم على تنمية الفكر العربي الإسلامي في البلاد، وتطبيق الدعوة الإصلاحية التي نادى بها تيار¹ الجامعة الإسلامية. و هذا ما سنحاول التفصيل فيه إنطلاقا من الإجابة على التساؤلات التالية :

كيف ساهمت العلاقة بين رواد الجامعة الإسلامية ورواد الإصلاح بالجزائر في تأثرهم بفكرة الجامعة الإسلامية ؟ وكيف عمل هؤلاء حسب تصورهم للفكرة في نشرها بالجزائر ؟

أولا : أثر رواد الجامعة الإسلامية بالجزائر

إن علاقة وتواصل الجزائريين برواد الجامعة الإسلامية من خلال دراسة أفكارهم في الجرائد المشرقية أو اللقاءات التي تمت بين الطرفين كزيارة محمد عبده إلى الجزائر، جعلتهم يتأثرون بأقطاب الجامعة الإسلامية، فلقد كان للشيخ محمد عبده أعظم الآثار في نفوس الجزائريين، إذ كان علماء الجنوب في وادي ميزاب² يعدون

¹ يؤكد محمد عمارة على أن تيار الجامعة الإسلامية في الحقيقة هو مجموعة من التيارات التي بينها من الاختلاف أكثر مما بينها من الاتفاق، وهذه التيارات هي الحركة الوهابية التي تمثل أقدمها، ثم تليها السنوسية والإسماعيلية وهو ما فصلت فيه سابقا لأصل إلى أن هذه الحركات دينية تختلف عن حركة الجامعة الإسلامية مع اشتراكها في بعض المبادئ، كذلك يدرج دعايتها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في تيار، وعبد الرحمان الكواكبي في تيار آخر والسلطان عبد الحميد في تيار سماه التيار العثماني وهذا ما إتفقت فيه جل المراجع وهو الطرح الصائب لكن بإدراج هذه التيارات ضمن أقطاب ناضلت في سبيل الجامعة الإسلامية.

² وادي ميزاب : يطلق هذا الاسم على مجموعة المدن السبعة التي يتكون منها هذا الوادي الواقع جنوب الجزائر، وهي غرداية (العاصمة)، بني يزقن، القرارة، بريان، العطف، مليكة، بنورة. أنظر : محمد صالح الجابري : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900 - 1962)، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1983، ص ص 100-101.

أنفسهم تلاميذ الشيخ محمد عبده، درسوا كتبه وسلخوا طريقه في الإصلاح، وكانوا يرونه إمامهم وقودتهم¹، كما أخذ بدعوته زعماء الشمال أيضا، لأنها من الفكر الذي يؤمنون به، فكان الشيخ عبد الحميد بن باديس² و البشير الإبراهيمي³ و الطيب العقبي⁴ كلهم تلاميذ الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا درسوا كتبهم وتأثروا بدعوتهم⁵، فلقد كان محمد عبده بالنسبة إلى رواد الإصلاح بالجزائر أول صيحة إرتفعت في العالم الإسلامي فهو عندهم >> أئدى الأئمة المصلحين صوتا وأبعدهم صيتا في عالم الإصلاح، فلقد جاهر بالحقيقة المرة وجهر بدعوة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الرجوع إلى الدين الصحيح والتماس هديه من كتاب الله ومن سنة نبيه، وإلى تمزيق الحجب التي حجبت عنا نورها بيننا وبين هديها، مبينا بصوت يسمع الصم، وبلاغة تستلزم العصم، وأن علة العلل هي سقوط المسلمين وتأخرهم وراء الأمم، وإنحطاطهم عن تلك المكانة التي كانت لهم في سالف الزمن هي بعدهم عن ذلك

¹ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص30 .

² عبد الحميد بن باديس : ولد في 1889 بقسنطينة، سافر إلى تونس في 1908 وتخرج من جامع الزيتونة بشهادة التطويغ سنة 1910، قام بأداء فريضة الحج عشية الح ع 1 وزار معظم مدن الشرق العربي، أسس جريدتي المنتقد والشهاب في 1925، ثم ساهم مع زملاءه في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ترأسها حتى وفاته في 16 أبريل 1940. أنظر : عبد الكريم بوالصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، الجزائر، 1996، ص ص 58 - 61.

³ البشير الإبراهيمي : ولد في 1889 بسطيف، غادر الجزائر في 1911 إلى الحجاز، وفي عام 1916 غادرها إلى دمشق حيث إشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية وأختير عضوا للمجمع اللغوي بها، رجع إلى الجزائر في عام 1920، ساهم في تأسيس جمعية العلماء عام 1931، توفي سنة 1965. أنظر : نفسه، ص ص 66 - 67. كذلك، العربي التبسي : **أشغال الملتقى الوطني للإصلاحي في الجزائر**، دارالهدى، دط، عين مليلة الجزائر، أبريل 2003، ص ص 175 - 176 .

⁴ الطيب العقبي : من مواليد 1889 ببسكرة، عاش أيام الثورة العربية في الحجاز وأنهم من قبل الأتراك بالإشتراك فيها، رجع إلى الجزائر سنة 1920 بعد أن تأثر بالأفكار القومية والدعوة للإصلاح في المشرق العربي، أسس جريدته الإصلاح في بسكرة 8 ديسمبر 1927، إنتقل إلى مدينة الجزائر ولما تأسست جمعية العلماء أصبح من أعضائها المساعدين وتولى تحرير جرائدها، توفي في 1959. أنظر : عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها ...، ص ص 71 - 72.

⁵ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص ص 30 - 31 .

الهدى الروحاني الأعلى <<¹، كذلك مثل بالنسبة لهم >> أعجوبة الأعاجيب في
الأممية وبعد النظر وعمق التفكير وحدة الخاطر واستتارة البصيرة وسرعة الإستنتاج
وإستشفاف المخبات، حكيم بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى <<².

ومثلما نلاحظ فقد كان المصلحون على تعلق كبير بدعاة الجامعة
الإسلامية، لهذا فلما بلغهم نعي الشيخ محمد عبده حزنوا عليه كثيرا، فكتب أحد فضلاء
الجزائر مختصرا إسمه بـ (ع . ز) تعزية بعث بها إلى الشيخ رشيد رضا فنشرها في
جزء التعازي من كتاب الأستاذ الإمام، ومما ورد فيها : >> قد أصاب العالم خطب
عظيم، محزن جسيم، فبكى الإنسان واستبكى، ولبس ثياب السواد الحلكى، لوفاة الفاضل
الأكمل، والكمال الأجل، من أعاد المكارم فأحيا رفاتها، وأنشر أمواتها، فيلسوف
الإسلام، وعلامة الأنام، أستاذ الأساتذة، المغفور له مولانا الإمام مفتي الديار المصرية
الشيخ محمد عبده أسكنه الله فسيح الجنان، وألبسه حلل سندس الرضوان <<³ .
كذلك نظم الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة مرثية نشرها الشيخ رشيد رضا في
الجزء الثالث من تاريخ الأستاذ الإمام ومما جاء فيها :

"مصاب جسيم عم كل العشائر	وأسلمنا قهرا لحكم المقادير
رمينا بخطب لا يقاس بغيره	فجعنا برزء ماله من مناظر
وأكبادنا ذابت أسي و كآبة	وأعيننا مثل العيون الهوامر
على موت مفتي المسلمين وفخرهم	ومن كان للإسلام نور البصائر
بكت مصر والدنيا جميعا لفقده	وأبناؤها من كل باد وحاضر
وأبدى جميع الناس حزنا وحسرة	وأجروا دموعا كالغيوث الماطر" ⁴

وبعد أن ذكر محمد بن مصطفى الخوجة ما للشيخ عبده من مؤلفات
وتفسير، وأشاد بمواقفه الإصلاحية في هذه القصيدة أشار إلى زيارته للجزائر فقال :

¹ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 41 .

² نفسه، ص 42 .

³ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج3، ص 297 .

⁴ نفسه، ص ص 303 - 304 .

" قد سعدنا بزورة منه جاء ت
 كم سهرنا ومنه نلنا علوما
 لم تحط ألسن الرثاء بفضـل
 رب انزل عليه وبل رضـاء
 بسعود يفر منها الشقـاء
 ما سمعنا بها ولا الأبـاء
 لم تسعه الغبراء ولا الخضراء
 في رضاء فنعم ذاك الرضـاء"¹
 وإلى جانب محمد عبده كان لرشيد رضا الأثر العميق في نفوس أهل
 الجزائر، فقد كانت أفكاره منتشرة بين الجزائريين الذين كانوا متأثرين به كثيرا من
 خلال جريدته المنار، ولمكانته تلك أتى على أعماله محمد البشير الإبراهيمي
 فقال : >> حمل لواء الإصلاح بعد موت الإمام (محمد عبده) تلميذه الأكبر ووارث
 علومه السيد محمد رشيد رضا، وقد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره بإعتراف
 الإمام، والمنافع عنه والمدافع دونه، وإضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حين نكل
 عن حملها أقوام، وإستقل بتسيير سفينته فكان الربان الماهر، وأقام على مبادئ أستاذه
 وفيها لها وله، فتمادى على إصدار التفسير على منهاج الإمام من حيث وقف
 الإمام <<²، ومن خلال ذلك نستطيع القول بأن ذكر أعمال شخصية رشيد رضا لدليل
 على الإعجاب به والتأثر بأفكاره في مجال الإصلاح، ولهذا كان التعلق به سببا لأن
 تحدث وفاته³ تأثيرا جما في صفوف المصلحين، فلما توفي الشيخ سنة 1935 حزن
 عليه أبو اليقظان⁴ حزنا كبيرا وكتب في وفاته سلسلة من المقالات⁵ التي نشرها في

¹ محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج3، ص ص 303 - 304.

² محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 43.

³ أنظر الملحق رقم : (2).

⁴ أبو اليقظان : هو إبراهيم بن عيسى أبي اليقظان المولود في 1888 بالقرارة، سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام 1910، وهناك أراد أن يلتقي العلماء ورجال الفكر في الحرمين ليأخذ عنهم ويستتير بأفكارهم، ولكن ذلك لم يتحقق له مما جعله يستقر بتونس وينتظم في سلك المدرسة الخلدونية، ولما عاد منها إلى الجزائر عام 1925 إنطلق في إتجاه الإصلاح والدعوة فأنشأ ما بين 1926 - 1938 ثمانى صحف عبرت عن توجهه الرامي لتحقيق التضامن الإسلامي، توفي بمدينة في 1973. أنظر : محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ج2، ص ص 189 - 192.

⁵ نشرت المقالات " فقيده الإسلام السيد رشيد رضا " في العدد 45، " رشيد رضا في نظر الزعيم الثعالبي " في العدد 47، " فقيده الإسلام والشرق السيد محمد رشيد رضا " (شعر) العدد 49، " رشيد رضا عمت بموتك دهشتي " (شعر) في العدد 62.

جريدته الأمة¹ فكتب في مقاله " الله أكبر مات رشيد رضا " مايلي : >> كيف لا يحزن كل فرد من أفراد أربعمائة وخمسين مليوناً من المسلمين وقد سقط ذلك المنار الذي كان يرسل أشعته إلى قلب كل مسلم، كيف لا يبكي دما كل ناد إصلاحى، وكل معهد علمي، وكل مجلس شرعي، وكل منبر وكل المكان (...) ونحن إذا بكينا رشيداً فلسنا نبكي لموت شخصه، فإن الشخص إذا لم يمت اليوم مات غداً، ولكننا نبكي ونرتجف لموت مؤسساته الكبرى، ونحن معاشر المسلمين قد أصبنا بمرض التواكل والإعتماد في جليل أحوالنا وحقيرها على الغير، نحيا حياة الأفراد لانكترت بالحياة العمومية والمؤسسات العامة، حتى إذا مات أحدنا ماتت مؤسساته معه وإكتفينا في فقدانه بقولنا ثغرة لا تسد إلى يوم القيامة، وأخوف ما نخافه أن يموت المنار وتفسير المنار بموت صاحب المنار، أم من ذا الذي يكمل تفسيره من سورة يوسف وينسج على منواله حتى لا يقال مات رشيداً <<². ومثلما نلاحظ فقد تخوف أبو اليقظان من موت آثار رشيد رضا المكتوبة في جريدته المنار، فقد كان الكاتب على دراية بالتأثير الذي أحدثته في فكر العامة والخاصة، لهذا عبر عن خشيته من أن تحدث وفاة الشخص موت أفكاره الإصلاحية.

كما تألمت مجلة الشهاب³ لفقدانه فكتبت سلسلة مقالات بدأتها بمقال بعنوان "رزء الإسلام وفاة مجتهد العصر الأستاذ رشيد رضا"، أشارت فيه إلى عظمة الرجل في مجال الإصلاح وأشادت بآثاره التي خلفها فذكرت ما يلي : >> نعت أخبار مصر وفاة هذا الإمام وقد كانت وفاته إثر رجوعه من مشايعة الأمير سعود إلى

¹ الأمة : جريدة أسبوعية إصلاحية ذات نزعة إسلامية ووطنية قوية، تعد سابع جريدة أسسها أبو اليقظان، صدر العدد الأول منها في 1933/09/08 بمدينة الجزائر بإسم مديرها وصاحب إمتيازها أبو اليقظان، عرفت بمقاومتها للفرنسة والإدماج ودفاعها عن الإسلام، ومناصرتها لقضايا الوطن العربي والإسلامي التحررية. أنظر : محفوظ تاونزة، المرجع السابق، ص ص 30 - 31.

² أبو اليقظان : " الله أكبر مات رشيد رضا"، جريدة الأمة، العدد 41، الثلاثاء 10 سبتمبر 1935.

³ الشهاب : صحيفة إصلاحية أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 12 نوفمبر 1925 بمدينة قسنطينة، كانت تصدر مرة كل أسبوع في شكل جريدة ثم تحولت إلى مجلة شهرية ابتداءً من فيفري 1929، كانت ثرية بمقالاتها الداعية إلى محاربة الفساد الخلقي والدفاع عن الإسلام، كما أعطت إهتماماً كبيراً لقضايا الوطن العربي والإسلامي لاسيما السياسية والتحررية منها، توقفت عن الصدور عشية إندلاع الح ع 2. أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية، ص ص 58 - 62.

الإسكندرية، فابتدأه الألم أثناء الطريق وما بلغ إلى مصر حتى وافاه الأجل، وقد شيعت جنازته في مشهد عظيم ودفن بجوار الأستاذ الإمام محمد عبده، لقد كان الأستاذ نسيج وحده في هذا العصر، فقها في الدين، وعلماء بأسرار التشريع، وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة، ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والإجتماع، وكفى دليلاً على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير وما أودعه مجلة المنار <¹، ثم تبعها بثلاث مقالات متتالية حول " حجة الإسلام محمد رشيد رضا " ضمنها ترجمة لحياته معتمدة في ذلك على ما نشره في كتاب تاريخ الأستاذ الإمام وكتاب المنار والأزهر، وقد شملت هذه الترجمة سيرة حياة الشيخ بدأ بمولده ونشأته وتعلمه، ثم تطرقت إلى آثار إتصاله بالأستاذ الإمام محمد عبده ومواقفه من مختلف القضايا السياسية التي عاصرها، وختمت المقال الأخير بأثر السيد رشيد رضا في العالم الإسلامي².
ومن خلال ماسبق يمكن القول بأن الإصلاحيين الجزائريين كانوا متأثرين جداً بأفكار رشيد رضا الذي كانوا يقدرونه حق قدره، كما كانت صحفهم متأثرة بدعاية المنار فقد كانت الشهاب مثلاً تخصص ركناً عنوانته بـ "مجتمعات من الكتب والصحف " كثيراً ما خصص لمقالات شكيب أرسلان ورشيد رضا³، كما كانت أفكارها وآراءها صدى لألفاظ المنار وأطروحاتها.

وكان بعد الشيخين محمد عبده ورشيد رضا في التأثير في نفوس الجزائريين الشيخ عبد الرحمان الكواكبي بكتابه أم القرى وطبائع الإستبداد، والأمير شكيب أرسلان بمقالاته في الصحف وكتابه " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم " و" حاضر العالم الإسلامي "، وكان زعماء الجنوب الجزائري يجلون مصطفى كامل فكانوا معجبين بجريدته " اللواء " وبمقالات أصدقائه فيها، فقد إكترى المصلحون بوادي ميزاب داراً خاصة جعلوها نادياً لقراءة الكتب والصحف الوطنية والعربية، ولما نشر الأستاذ علي

¹ مجهول ؟ : " رزء الإسلام وفاة مجتهد العصر الأستاذ رشيد رضا "، مجلة الشهاب، ج6، مج11، سبتمبر 1935، ص 396.

² نشرت المقالات (حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا 1 - 2 - 3) في الجزء السابع المجلد الحادي عشر ص 409 - 413، والجزء الثامن من نفس المجلد ص 444 - 453، والمجلد التاسع ص 508 - 510 .

³ محمد ناصر، المقالة الصحفية...، ص 57 - 58.

فهني كامل تاريخ أخيه مصطفى كامل الذي طبعه في القاهرة سنة 1910 درسه هؤلاء في إمعان، وعندما كان الجزء السابع من هذا الكتاب بقلم مصطفى كامل في المسألة الشرقية بين فيه نوايا أرباب السيئة للإسلام والمسلمين وكيدهم للدولة التركية المسلمة وحقدهم الصليبي عليها¹، وبهذا فقد أثر على قراءه الذين تنبهوا لكيد الإستعمار فهبوا لجهاده.

أما جمال الدين الأفغاني فرغم تأثر رواد الإصلاح بالجزائر بما جاء به عن الجامعة الإسلامية من خلال جريدته العروة الوثقى، إلا أن الدراسات تذكر أن كتابات المصلحين قلما تذكر إسمه، ويبدو أن ذلك يعود إلى تركيز هذا الأخير في دعوته على المجال السياسي الذي يشير فيه إلى إستخدام العنف الثوري ضد الإستعمار، وهو ما تجنبه المصلحين خشية الإصطدام بالإدارة الإستعمارية².

ولكن تأثير رواد الجامعة الإسلامية لم ينته عند هذا الحد، فقد تواصلت رسالتهم في الجزائر على يد جماعة من المصلحين الجزائريين الذين قادوا الجزائر إلى طريق الإصلاح على منهج الرواد في الإصلاح الديني وتطهيره من الخرافات، فما هي المؤثرات الخاصة التي ساعدت المصلحين في التعرف على فكرة الجامعة الإسلامية؟ وكيف عمل هؤلاء على نشرها وتقويتها بالجزائر؟

ثانيا : المصلحون الجزائريون و فكرة الجامعة الإسلامية

1. المؤثرات المساعدة للمصلحين في التعرف على فكرة الجامعة الإسلامية :

رأينا في العناوين السابقة أن تأثر المصلحين الجزائريين بالجامعة الإسلامية كان بفعل إطلاعهم على الصحافة المشرقية المؤيدة للجامعة الإسلامية وخاصة جريدتا المنار والعروة الوثقى، اللتان لعبتا دورا هاما في إحياء حركة البعث الإسلامي في الجزائر، كما ساهم في تأثرهم بالفكرة زيارة محمد عبده التي عمقت مفهوم الإصلاح لدى المثقفين الجزائريين، وبالإضافة لهذه العوامل كان لهجرة المصلحين إلى المشرق

¹ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص33.

² رابح لونيسي : التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف (1920 - 1954)، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2009، ص92 .

العربي منبت الدعوة للجامعة الإسلامية دافع كبير وراء تعرفهم على الأفكار المنتشرة هناك، فقد برزت بالجزائر في القرن التاسع عشر شخصيات أمثال محمد بن مصطفى الخوجة وعبد القادر المجاوي وعمر بن قدور، وكل هؤلاء كانوا من المهاجرين للدراسة في جامعات الشرق الأدنى، كما كانوا من المتصلين بالإصلاح الإسلامي السائد هناك .

وفي ظل هذا التوجه ظهر بالجزائر أيضا في مطلع القرن العشرين مجموعة من العلماء العائدين من المشرق العربي، بعد أن هاجروا للدراسة في جامعات المشرق والمغرب بجامع الزيتونة في تونس والقرويين بالمغرب والأزهر بمصر، ومن أبرز هؤلاء نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس المتأثر بأفكار الجامعة الإسلامية عن طريق جامع الزيتونة اليقظ حيال التوجهات الجديدة التي كانت تتطور في المشرق بدفع من رواد الجامعة الإسلامية¹، فلقد أصبح الوسط الزيتوني شديد التعلق بالأفكار الإصلاحية التي روج لها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني خاصة بعد زيارة محمد عبده إلى تونس في 1903، وإتصال النخبة التونسية بمجلتي المنار والعروة الوثقى²، كما إستفاد خلال رحلته إلى المشرق سنة 1913 من أستاذه محمد بخيت المطيعي - زميل الشيخ محمد عبده وأحد تلاميذ جمال الدين الافغاني - الذي زاره في بيته بحلوان وكتب له إجازة في دفتر إجازاته³، لذا يمكننا أن نقف عند توجه ابن باديس المتأثر بفكر الجامعة الإسلامية عن طريق أستاذه التونسيين محمد النخلي ومحمد الطاهر بن عاشور المتشبعين بفكر محمد عبده أستاذهما⁴، ومن ثم كان لهؤلاء الشيوخ الأثر الكبير في توجيه فكر عبد الحميد بن باديس بآرائهم إلى التحرر في الفكر، بعدما إنتابه الضجر

¹ علي مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والإجتماعي من 1925 إلى 1940)، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، ط2، الجزائر، 1999، ص 263.

² محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص74.

³ الزبير بن رحال : الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889 - 1940)، دار الهدي، دط، عين مليلة الجزائر، دت، ص25.

⁴ أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي...، ص 118.

من أساليب أساتذته التقليديين الذين كانوا يعتمدون في أسلوبهم على الجدليات والإختلاف في كلام الله، وغير ذلك من الأساليب المعقدة والمقلدة¹.

وإلى جانب ابن باديس نجد الشيخ البشير الإبراهيمي الذي إلتحق بالمشرق عام 1911 هروبا من ويلات الإستعمار الفرنسي فإستقر بالمدينة المنورة وهناك درس على يد كبار علمائها الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي²، كما إنتقل إلى دمشق فكان له لقاء مع رشيد رضا³، وهو ما يؤكد بنفسه فيقول : >> لقيته رحمه الله ببلدة دمشق على إثر إنتهاء الحرب العظمى وقد جاءها ليتصل بالهيئات العاملة لخير العرب، وليزور أهله في القلمون من لبنان الشمالية، ونزل ضيفا على صديقنا العالم السلفي الشيخ بهجت البيطار (...) كنا نذهب ليلا إلى دار صديقنا البيطار للسمر مع الشيخ رشيد (...) وأشهد أنها كانت ليالي ممتعة يغمرنا فيها الأستاذ رشيد بفيض من كلامه العذب في شؤون مختلفة، وإن أنس فلا أنس إحسانه في التثقل ولطف تحليله في الخروج بنا من معنى آية إلى شأن من شؤون المسلمين <<⁴. كانت تلك بداية التعارف بين رشيد رضا والإبراهيمي، ولا شك أن الأخير قد تأثر بفكر رشيد رضا عن الإصلاح الديني والجامعة الإسلامية، وبهذه العوامل بات الإبراهيمي من أكثر العارفين بأحوال المشرق، كما كان أحد أبرز الشخصيات التي مارست عدة نشاطات مؤيدة لفكرة الجامعة الإسلامية بالمشرق لكن وللأسف لا توجد وثائق وآثار مكتوبة له تثبت ذلك.

وبالإضافة إلى ابن باديس والإبراهيمي ظهر بالجزائر الطبيب العقبي الذي هاجر إلى الحجاز صحبة أسرته عام 1895، وهناك تربى في بيئة إنتشرت فيها الحركة الوهابية فأخذ عن مبادئها وأفكارها، كما أخذ بتيار الجامعة الإسلامية أثناء

¹ محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 65.

² أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929 - 1940)، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1997، ج1، ص ص 9 - 10.

³ أول معرفة للإبراهيمي برشيد رضا كانت بالقاهرة سنة 1911، عندما زار دار الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا وحضر بعض دروسه فيها، ثم لقيه بعد الحرب العالمية الأولى وهو اللقاء الذي أشرنا إليه. أنظر : أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي...، ص118.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص45.

إستقراره بالقرب من إرهابياتها¹، و تراسل مع قائد نهجها السياسي شكيب أرسلان الذي تبادل معه الرسائل العديدة حول مصير العالم الإسلامي، فقد أشار هذا الأخير بأن علاقته مع أرسلان كانت تدور حول قضايا العالم الإسلامي وما آل إليه في خضم بؤادر زوال الخلافة، ولم تتوقف علاقة الرجلين عند هذا الحد بل توسعت لتشغيل بعض العاملين في حقل الجامعة الإسلامية² ولعل من هؤلاء المكي بن عزوز³، و بالإضافة إلى هؤلاء برز أحمد توفيق المدني⁴ وأبو اليقظان المتأثرين كذلك بالجامعة الإسلامية من خلال العوامل التي سبق ذكرها، والمراسلات التي تمت بينهم وبين شكيب أرسلان، فقد ذكر المدني أنه كان يرسل شكيب أرسلان سياسيا وإجتماعيا منذ كان في إدارة الحزب الدستوري بتونس، وأنه قد أمده بمعلومات عن المغرب العربي ومشاكله السياسية ومقاومته للإستعمار، ودارت المراسلات كلها حول المشاكل السياسية عامة والمغربية خاصة⁵، كما يشير محمد ناصر إلى أن أبا اليقظان كان على صلة وثيقة بشكيب أرسلان الذي تربطه به مكاتبات تدور في أغلبها حول مستقبل البلاد الإسلامية

¹ أحمد مريوش : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومه، دط، الجزائر، 2012، ص ص 31 - 39 .

² نفسه، ص ص 40 - 41 .

³ المكي بن عزوز : من مواليد 1854 بتونس، وهو من أصول جزائرية، هاجرت أسرته من الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي لطولقة (ببسكرة) مستقر عائلته، كان كثير التنقل بين الجزائر وتونس، ولما دعى إلى مقاطعة فرنسا إقتصاديا في الجزائر ألقت السلطات الفرنسية عليه القبض، فرحل منفيا إلى الأستانة سنة 1884 فعينه السلطان مدرسا بدار الفنون، لعب دورا كبيرا في النضال الفكري والصحفي بالمهجر، توفي بالأستانة 1915. أنظر : خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 338.

⁴ أحمد توفيق المدني : من مواليد 1898 بتونس، وهو صحفي ومؤرخ باللغة العربية، عرف بنضاله في سبيل الخلافة العثمانية التي كان يرى فيها الأداة الصالحة لجمع كلمة المسلمين، لهذا دعى إلى تأسيس لجنة الخلافة الإسلامية بتونس عام 1924، التي سعت عن طريق مراسلاتها مع الخليفة عبد المجيد لتفعيل دور الخلافة في مباشرة شؤون المسلمين، ساهم في تأسيس ج الع م ج سنة 1931، وكان المحرر لقانونها وبرنامج نشاطها، توفي في 1983. للمزيد أنظر : أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر، دار البصائر، دط، الجزائر، 2009، ص ص 6 - 13. كذلك، أحمد توفيق المدني : مذكرات حياة كفاح، دار البصائر، دط، الجزائر، 2009، ج1، ص ص 442 - 445 .

⁵ أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1996، ج4، ص 118.

وتعالج واقعها المرير تحت نير المستعمر الأوربي، كما كانت له صلات حميمة بالشيخ رشيد رضا المعروف بتفانيه في سبيل الجامعة الإسلامية¹، ومن خلال ذلك نستطيع القول بأن رواد الإصلاح قد تأثروا بأيديولوجية إرسال المقتتعة بالجامعة الإسلامية، فقد كانت أفكاره الإسلامية عن التضامن الإسلامي عموما والمغاربي خصوصا، وإستغلال الظروف لدحر الإستعمار تتسرب لهؤلاء عن طريق المراسلات التي تمت بينهما أو من خلال قراءة المقالات التي كان يكتبها. وخلاصة القول أن رواد الإصلاح بالجزائر قد تأثروا بفكرة الجامعة الإسلامية من خلال تواصلهم مع أقطابها، الذين ساهموا بفكرهم في تكوين هذه الفئة فكريا ودينيا وفي توجيهها لمجال الإصلاح، ولكن هؤلاء لم يكن لديهم نفس التوجه الفكري ولا نفس التصور والرؤية لماهية الإصلاح، ممّا أدى إلى ظهور تصورات مختلفة لفكرة الجامعة الإسلامية كل حسب فهمه ومنطلقاته الخاصة، فكيف تصور رواد الإصلاح بالجزائر فكرة الجامعة الإسلامية؟

2. الجامعة الإسلامية في تصور رواد الإصلاح بالجزائر :

إن الحديث عن القومية الإسلامية أو الجامعة الإسلامية لم يظهر على صفحات الجرائد العربية الجزائرية إلا مع ظهور الصحافة الوطنية، وكان ذلك على يد كاتب بارز هو عمر بن قدور² الذي كتب في جريدته الفاروق³ عن القومية الإسلامية يقول: >> إن الصورة الأصلية للقومية الإسلامية العامة صورة يدركها المسلم بداهة من نفس نظام الإسلام العام، وفي إمكان الرجل التقى أن يطلع عليها من نفس خواطر نفسه وهواجس ضميره (...). وتلك الصورة تنحصر في قضيتين أو ثلاث. الأولى

¹ محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1983، ص ص 118 - 119.

² محمد ناصر، المقالة الصحفية، ص 160.

³ الفاروق : صحيفة أسبوعية وطنية إسلامية أصدرها عمر بن قدور في 18 / 02 / 1913 بمدينة الجزائر، وكان شعارها " قلمي لسانی ثلاثة بفؤادي (...) ديني ووجداني وحب بلادي "، عالجت الفاروق القضايا الوطنية و قضايا العالم العربي والإسلامي ومحنة الخلافة العثمانية، إستمرت في الصدور من 1913 إلى 1915 ومن 1920 حتى 1921. أنظر : سليمان بن رابح، المرجع السابق، ص 63.

الإخلاص لفالق الحب والنوى في السر والعلانية، والثانية الإستقامة نحو هذا المجتمع الإنساني، ولنا أن نزيد الثالثة وهي إعتبار أن المسلمين إخوة قبل كل شيء¹، ويضيف على هذا فيقول : >> إن القومية الإسلامية التي كان أصلها ناميا في أفئدة عرب الحجاز حتى سادوا العالم في ظرف ثمانين عاما، هي القومية التي فطر الله الناس عليها ولكن أكثر الناس لا يعلمون... <<². فالكاتب هنا يشير لما أصاب الدولة العثمانية من ضعف وهوان، وحث غير مباشر للمسلمين ليعملوا يدا واحدة لإنقاذ دولة الخلافة.

إذا فالجامعة الإسلامية التي تصورها ابن قدور هي تلك الرابطة التي يدركها المسلم التقي لوحدته، فإذا تمكنت من ضميره تجعله يحن للتآلف والتضامن مع إخوانه المسلمين، وهي بالنسبة له لا تتم إلا بالرجوع إلى روحانية الإسلام الخالصة، فهو يرى ضرورة توحيد المسلمين في سبيل الرابطة الدينية، التي تنكر العصبية الضيقة والإختلافات المذهبية وتكتفي فقط بكتاب الله وسنة رسوله، كما يرى فيها غاية تجمع المسلمين حول قاعدة الخلافة، لهذا خصص هذا الكاتب عدة مقالات في جريدته الفاروق يحذر ويلفت فيها إنتباه الدولة العثمانية لخطر المؤامرات والدسائس الأجنبية المحاكاة ضدها قبل الحرب العالمية الأولى، وظل يبدي تعاطفه وتضامنه معها لأنه من المتمسكين بها فهي في نظره تمثل رمزا حقيقيا للإسلام وهي المحافظ على وحدة المسلمين، ولذلك إهتم عمر بن قدور بالظروف الصعبة التي كانت تمر بها فكان يبعث بمقالاته إلى الأستانة لنشرها في جريدة الحضارة، تلك المقالات التي حاول فيها تنبيهها من الدسائس الأوروبية الإستعمارية المتربصة بها، وتحذيرها من فقدان سيادتها على العالم الإسلامي³.

¹ محمد ناصر، المقالة الصحفية...، ص 164.

² عمر بن قدور : "معضلات اليوم والغد"، الفاروق، العدد 5، 28 مارس 1913. نقلا عن محمد ناصر، المقالة الصحفية...، ص 163.

³ محفوظ تاونزة، المرجع السابق، ص ص 47 - 48.

وإنطلاقاً من نفس التصور عرّف أحمد توفيق المدني سنة 1923 الجامعة الإسلامية بقوله : >> لا يريد المسلمون الجامعة الإسلامية لاتخاذها آلة حرب وخراب وتدمير، بل يريدونها ويسعون إليها لتكون لهم وسيلة تعارف و إتصال ورقي وعمران، يريدون جامعة إسلامية أخلاقية توطد دعائم الاتحاد والتآلف بين المسلمين حول مركز الخلافة العظمى، لا جامعة إسلامية حربية تجعل العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه إمبراطورية واحدة لا يمكن أن تتآلف ولو في عالم الخيال <<¹. وإستناداً عليه نجد أن الجامعة الإسلامية التي يريدونها المسلمون في نظر المدني هي تلك الرابطة الأخلاقية التي تسعى لتضامن المسلمين تحت راية الخلافة، دون جعلها آلة حربية تجعل العالم الإسلامي يعود إلى أيام الصراعات الإقليمية والقبلية والسياسية، والمدني بهذا المفهوم يوافق ماجاء به محمد عبده وجمال الدين الأفغاني الذين لم يريا فيها حركة تفرق بين أبناء الوطن الواحد بسبب تعدد الأديان... أو غيره >> لأنه إذا تنافرت الطوائف تشاغلت كل منها بما يحط شأن الأخرى، فكانت كل مساعيهم ضرراً على أوطانهم <<².

أما أبو اليقظان فقد إستعرض في مقالاته في جريدة وادي ميزاب³ وصفا كاملاً لتفرق المسلمين وإختلافهم، فهو يؤكد أن ما يتهدد الإسلام هو أخطار الإستعمار الذي وحد قوته للقضاء على المسلمين، فعمد إلى نشر الإلحاد والتبشير والجهل حتى يزيد في تخاذلهم وتفرقهم، حتى يصبحوا لقمة سائغة يسهل مضغها وإزديادها ثم هضمها في النهاية، وبهذه العوامل يكشف أبو اليقظان عن أسباب تقهقر المسلمين فيقول : >> لم يمرض على المسلمين وقت هم فيه أحوج إلى بعضهم مثل هذا الوقت الذي نحن فيه الآن

¹ أحمد توفيق المدني، تقويم المنصور، ص 150. نقلاً عن محمد ناصر، المقالة الصحفية...، ص 173.

² محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية...، ص 57.

³ وادي ميزاب : جريدة أسبوعية ذات إتجاه إصلاحى ووطني، أسسها أبو اليقظان في أول أكتوبر 1926 بمدينة الجزائر، من أهدافها السعي في بث روح الاتحاد والتضامن بين سائر المسلمين على إختلاف أجناسهم ومذاهبهم بتأييد الصلات المتعددة بينهم، وبذل الجهد في محاربة الجمود الفكري والتعصب المذهبي، رحبت بالنهضة الشرقية وكتبت مقالات مفصلة عن الحركة الوهابية مما جعل السلطة تتهمها بهذه النزعة، عطلتها الحكومة الإستعمارية بقرار تعسفي في 18 جانفي 1929. أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 65 - 70.

فقد تألّبت على الإسلام أقوام مختلفة، وعناصر متعددة، وأحاطت بالمسلمين جيوش كثيفة من كل جهة ومن كل ناحية وفي يد كل أسلحة متنوعة، وعدة فتاكة، ومعاول هدامة، وآلات جهنمية فوسائلهم مختلفة من جيوش الإستعمار وطلائع التبشير، وتلامذة الزندقة والإلحاد وأبناء الجهل المبيد، وغايتهم واحدة وهدفهم واحد ألا وهو : تقويض الإسلام وإكتساحه من الوجود << ¹ . ثم دعا المسلمين للتضامن تحت راية الدين، لمواجهة الأخطار المحدقة بهم فيقول : << وحدوا صفوفكم رعاكم الله، وأجمعوا جهودكم، وضموا قواكم، وسيروا إلى الأمام بقلوب مفعمة إيماناً ونفوساً طافحة صدقاً وإخلاصاً، فإن الحالة حرجة للغاية و الأمر في شدة الخطر (...) إن عزكم يا قوم في إعتزاز الإسلام لا في الكيد له و إعانة خصومه عليه، إن سلامتكم في توطيد العلاقات بينكم وبين إخوانكم المسلمين، ففي عزهم عزكم، وفي سعادتهم سعادتكم، وليس في تهوين العلاقات بينكم وإرخاء عواطفكم الجميلة نحو بعضكم إلا تشييت شملكم، وتبديد جمعكم، وإذهاب ريحكم، وإذابة قواكم، وتقوية خصوم الإسلام عليك، وتمكينهم من رقابكم >> ² ومثلما نرى فإن الجامعة الإسلامية التي تصورها أبو اليقظان هي ذلك التضامن الإسلامي الذي يوحد المسلمين شرقاً وغرباً لمقاومة الغزو الفكري الغربي، والوقوف أمام جيوشه المتعددة التي تتمثل في المبشرين والملحدين والمستشرقين.

ومن خلال هذا التصور يقف أبو اليقظان على الحل الذي سيعيد الأمة الإسلامية إلى مجدها، فيذكر أن الرجوع إلى الدين الإسلامي وفهمه فهما صحيحاً خالياً من شوائب عصر الانحطاط وتحقيق الوحدة والتضامن بين المسلمين - كما ذكرنا - هي السبيل في رأيه لتحقيق جامعة إسلامية بين المسلمين في كافة ربوع العالم الإسلامي، ولهذا السبب كانت الحركة الوهابية من المواضيع التي شغلته فنشر في جريدته وادي ميزاب أربع مواضيع مطولة ³ عنها فإستعرض ظهورها وفوائدها على

¹ إبراهيم أبو اليقظان : " إنما المؤمنون إخوة "، جريدة وادي ميزاب، العدد 116، الجمعة 01/11/1929.

² نفسه.

³ نشرت مقالات الحركة الوهابية في العدد الثاني بهذا العنوان، والعدد 3 بمقال عنوانه " إقتراح في شأن مخالفات الخلافة الحركة الوهابية "، والعدد الخامس بعنوان الحركة الوهابية وبذات العنوان في العدد العاشر.

الأمة الإسلامية، لإيقاظ المسلمين وتنبية العامة بخطورة المصائب التي ألمت بالإسلام، ودعتهم إلى الاقتداء بدعوة السلف الصالح حتى تتخلص الأمة من جراثيم التفرق في الدين، وهي غاية الجامعة الإسلامية التي دعا إليها ابن باديس عندما كتب تعريفا لها يقول فيه : >> وينبغي أن يعلم أن المراد بالجامعة الإسلامية هو جمع قلوب المسلمين على المحبة والخير لأنفسهم وللناس أجمعين دون قصد ايضاف الشر بأحد، وإنما كانت خدمة هذه الجامعة متحتمة لأن عالما عظيما كالعالم الإسلامي لا يرجى منه نفع لنفسه ولا لغيره مادامت قلوب أهله متفرقة <<¹.

وفي ذات السياق نشرت جريدة الشهاب في موضوع الجامعة الإسلامية وأهميتها تعريفا أدلى به الملك عبد العزيز في مأدبة ملكية أقامها في مكة، فجاء في المقال المنقول عن جريدة أم القرى مايلي : >> إن الجامعة الإسلامية هي حياتنا، هي روحنا هي فخارنا، ولكن كيف تكون هذه الجامعة ؟ وماهي تلك الجامعة ؟ هي أن يجمع المسلمون على أمر جامع لهم، ولاشيء يجمعهم من غير إختلاف إلا التمسك بكلمة التوحيد تمسكا صادقا على علم وبصيرة، فلا يجوز للمسلم أن يمضي عليه ربع دقيقة من حياته تمر بدون أن يعرف ربه على بصيرة، فالجامعة الإسلامية هي إجتماع المسلمين على هذه المعرفة الحقيقية لا إجتماعهم في الرتب والوظائف. إن الجامعة الإسلامية بالمعنى الذي أفهمه وأقرره هو إجتماع المسلمين عامة على محبة الله تعالى وتوحيده وحده وصرف العبادة كلها إليه <<².

إن ما يجب الوقوف عليه من خلال هذا المقتطف أن جريدة الشهاب كانت مؤيدة لفكرة الجامعة الإسلامية إذ أنها دعت الجزائريين لفهمها على لسان الملك عبد العزيز، لكن ورغم تأييدها لم تنشر مقالات تدعو صراحة لبناء الجامعة، فقد كانت الشهاب متهيبة من طرح هذه المواضيع التي يعتبرها الإستعمار الفرنسي مواد محرمة يجب مصادرتها، لأنها تهدد نفوذ فرنسا في الجزائر وتحرض الجزائريين على الثورة

¹ عبد الحميد بن باديس : " الجامعة الإسلامية "، مجلة الشهاب، ج7، مج6، أوت 1930، ص 458.

² مجهول ؟ : " أنباء عالمية عن الحجاز "، جريدة الشهاب، قسنطينة، ج 26، مج1، 13 ماي 1926، ص10.

عليها¹، لذلك لم تخصص جريدة الشهاب وباقي الصحف الجزائرية مقالات تعنى بفكرة الجامعة الإسلامية إلا ما طرح عرضاً أثناء تناولها للحديث عن الخلافة الإسلامية. وبالنظر إلى ماسبق نجد أن الجامعة الإسلامية التي تصورها مصلحو الجزائر، تقوم على الإسلام الذي يمثل العامل الأساسي في وحدة المسلمين رغم عمق الفرقة بينهم، وعلى التضامن الإسلامي والإلتفاف حول مركز الخلافة، وإذا كان تصور رواد الإصلاح بالجزائر للجامعة الإسلامية بهذا الشكل فكيف جسد هؤلاء تأثيرهم بفكرة الجامعة على أرض الواقع؟

3. دور المصلحين الجزائريين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر

إن تأثر رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية بفكرة الجامعة الإسلامية، أدى بهم إلى العمل على بثها بين عامة الناس بالجزائر لمحاولة النهوض بالأمة في الميادين الدينية والفكرية و السياسية، لذلك أصبح هؤلاء بعد تشبعهم بالفكر الإصلاحي المشرقي مصدر إشعاع وتنوعية لمواطنيهم، فقد كانوا على صلة وثيقة بمحمد عبده وجمال الدين الأفغاني يقرؤون مقالاتهم في المنار والعروة الوثقى ويبنون أفكارها في الناس، فكان الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة مثلاً يقرأ مقالات² رشيد رضا في المنار للناس ويشرحها لهم، ولما طبع تفسير سورة العصر وهو الدرس الذي ألقاه محمد عبده في الجزائر، قرأه الشيخ على الناس في مجالسه عشر مرات³، كما كان ابن سماية أحد الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية بها، فعندما زار محمد عبده الجزائر تولى ضيافته وإعتنق منهجه ومذهبه الإصلاحي وكان يلقب بأنه عبدوي⁴، إذ سلك مسلكه فكان يدرّس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده لتلاميذه في المدرسة الثعالبية الإستعمارية، ويجعل عمدته في التفسير تفسير الشيخ محمد عبده⁵، كذلك فإن دعوة ابن

¹ محمد ناصر، المقالة الصحفية ...، ص ص 172 - 173 .

² كما كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يدرّس مقالات العروة الوثقى لتلاميذه بين الحريين في مكان بعيد عن عيون الفرنسيين وجواسيسهم، أنظر : عبد الله الركيني : قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، 2009، ص ص 19 - 20.

³ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص ص 128 - 129.

⁴ إبراهيم مياشي، المرجع السابق، 236.

⁵ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص 29.

الموهوب للعمل من أجل الإسلام الحقيقي ومساهمته كمصلح في الحركة الوطنية الجزائرية لدليل على نشاطه كداعية للجامعة الإسلامية في الجزائر¹، إذ كان هذا المصلح ينادي مستمعيه في نادي صالح باي بأن يتفهموا القرآن الكريم والحديث الشريف، وأن يتخلصوا من الكسل وعدم التسامح ويتجهوا إلى دراسة الإسلام وتاريخه، حتى تتخلص الجزائر من التعصب والجهل والإنحطاط الحضاري، وهذا البرنامج لا يتحقق في رأيه إلا إذ إتحّد الجزائريون فهو ينادي مواطنيه قائلًا: " إتحّدوا وتوادوا وإعتصموا جميعا في هذه الجزائر الجميلة بحبل السلام والإنسجام المقدس"²، وكان الشيخ عبد القادر المجاوي و الشيخ بيوض³ وباقي علماء الإصلاح على هذه الطريقة، فقد ذكر محمد علي دبوز أن >> إمام النهضة في الجنوب الشيخ بيوض وأستاذ معهد الحياة قد درس لنا في المعهد رسالة الشيخ محمد عبده في التوحيد (...). وكان يفسر القرآن على غرار الشيخ محمد عبده ويسلك طريقته وسيختم القرآن كله على تلك الطريقة المثلى إن شاء الله، وكان يدرس تاريخه ويتمثل في كثير من مقاماته بأقواله، وكان من جملة ما يردده إن مقصدي من هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده، أن أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن، ونفوسا فيها طهر القرآن، وتلاميذ مصلحين يكونون جند القرآن <<⁴.

هذا بإختصار عن نشاط الشيوخ الأوائل للإتجاه الإصلاحي أما باقي المصلحين فيظهر عملهم لصالح الجامعة الإسلامية من خلال نشاطهم في جمعية العلماء المسلمين، التي أجمعت الدراسات على أن ميلادها كان ثمرة البذور التي زرعها رجال الإصلاح في المشرق العربي، فكان تأسيسها راجع لتأثير آراء رواد الجامعة

¹ إبراهيم مياشي، المرجع السابق، ص 238.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص ص 150 - 154.

³ الشيخ بيوض : هو إبراهيم بن عمر بيوض المولود بالقرارة 1899، تزعم الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري منذ سنة 1919، شارك في تأسيس ج الع م ج، كما ساهم في تأسيس معهد الحياة الثانوي بالقرارة سنة 1925، من أهم آثاره تفسير القرآن الكريم وهو عمل أعطاه جهده قرابة خمسين سنة، توفي سنة 1981. أنظر : خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 - 1956، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ج3، ص 21.

⁴ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص30.

الإسلامية، وخاصة محمد عبده الذي إستطاع أن يعيد لأذهان الجزائريين فضل الإسلام المعاصر ونتائج جهود الجماعة الإسلامية على مرّ العصور، كما أنه أوقد في أوساط المصلحين شعلة الإسلام وجسد روحه في الدعوة لثورة فكرية تزعزع أركان الجهل وتقضي على مصادر الجمود¹، وفي ذات السياق يذكر علي مراد أن >> الإسلام في الجزائر في حاجة إلى دفع تاريخي للإنتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، للخروج من السبات السديمي والتكيف مع العالم الجديد عن طريق الإهتمام النشط، كان المسلمون الجزائريون يفتقرون إلى معلومات دقيقة عن مسيرة الإسلام عبر العالم، غير أن محمد عبده كان بالضبط الرجل الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الإسلامي، وساعدهم على إستيعاب التوجه الإصلاحى للإسلام المعاصر بشكل سريع <<²، هذا ويشير الإبراهيمي إلى أن رسالة الإصلاح في الجزائر تكونت نتيجة التأثير الذي تركته أعمال رشيد رضا تلميذ محمد عبده إذ كانت >> تمت إلى أعماله (أي رشيد رضا) ومبادئه بالنسب العريق وتتصل إلى علومه ومعارفه الواسعة بالسبب الوثيق، وقد فعلنا ولكن أين تقع هذه الجمل مما يوجب الوفاء لرجل هو في بناء الإصلاح الركن والدعامة، وفي هيكل الإصلاح الرأس والهامة <<³. وبهذه الدلائل نجد أن الإبراهيمي قد ربط بين الحركة الإصلاحية في الجزائر و دعوة رشيد رضا للإصلاح الديني والجامعة الإسلامية.

ولهذا السبب ذهبت الباحثة الفرنسية جوليتت بسيس إلى التصريح بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت ثمرة لحركة الإحياء الإسلامي التي ظهرت في القرن 19م على يد جمال الدين الأفغاني ودعاة الجامعة الإسلامية⁴، كما أكد فليبيب تريبي في مؤلفه "حرب الجزائر" إلى أن الروح الشرقية والتأثير الوهابي كان ظاهرين في جمعية العلماء⁵، وهو ذات ما يؤكد عليه البشير الإبراهيمي في سجل مؤتمر جمعية

¹ عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...، ص 54- 56 .

² علي مراد، المرجع السابق، ص 37.

³ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 44 - 45.

⁴ خير عبد النور، المرجع السابق، ص 261.

⁵ نفسه، ص 260.

العلماء فيقول أن التأثير الكبير في تكوينها يعود إلى >> نوازع جزئية محدودة أحدثتها في النفوس المستعدة الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام محمد عبده ولو من خصومه الممعنين في التشنيع عليه وسبه ولعنه - وما أكثرهم بهذا الوطن - فكانت تلك الأحاديث تفعل فعلها في النفوس المتبرمة من الحاضر والمستشرفة إلى تبدله بما هو خير، وتكيفها تكييفا جديدا وتغريها إلا بالبحث عن منشأ هذه الخصومة العنيفة لهذا الرجل، فإذا علمت أن منشأ ذلك دعوته إلى القرآن أو إدعائها الإجهاد كما كانوا يقولون قرب هذا الاسم منها، فأحبته ولجت في الانتصار له وإن لم تتبين مشربه كل التبيين <<¹، ويضيف إلى هذا العامل إطلاع العلماء على مجلة المنار وعلى كتب المصلحين القيمة ككتب ابن تيمية وابن القيم و الشوكاني، كما ساهم في ظهورها عودة فئة من أبناء الجزائر من الحجاز مهد الإسلام الأول ومبعث الإصلاح العام، والثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس².

أما العوامل السلبية التي كانت دافع تحدي أدى إلى ظهورها هو تدهور الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية للجزائر، نتيجة للسياسة الإستعمارية³ وأعمال الطرق الصوفية التي رضيت بالسير في ركاب الاحتلال، فتعاونوا على تجميد الفكر وتشويه وجه الإسلام الحقيقي وإستعباد المسلمين الجزائريين وعزلهم عن التطورات الحضارية التي عمت العالم المتقدم، حتى أصبحت الحياة الإسلامية مجردة من محتواها الحقيقي، وقد تجلى ذلك التدهور في نقشي الجهل وإنتشار الفقر وتفرق الأمة وتلاشي الثقافة العربية⁴.

¹ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص ص 46 - 47 .

² نفسه، ص ص 47 - 48 .

³ عمدت فرنسا منذ إحتلالها للجزائر عام 1830 إلى إتباع سياسة التصيير فحاولت القضاء على الإسلام من خلال إستيلاءها على المساجد والأوقاف الإسلامية وإخضاع كل شؤون الدين الإسلامي إلى سيطرتها، كما عملت على فرض سياسة التجنيس التي نشطت الدعوة لها بالإستعانة بالنخبة المثقفة باللغة الفرنسية، وإلى جانب هتين السياستين فرضت فرنسا سياسة الفرنسة والتجهيل... وغيرها، وكل ذلك لهدف مسخ وتشويه الكيان الوطني وشخصيته العربية الإسلامية، حتى تصبح الجزائر أرضا وشعبا جزءا لا يتجزأ من فرنسا. للمزيد أنظر : تركي رابح، المرجع السابق، ص ص 271 - 275.

⁴ عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها...، ص 207.

وبهذه العوامل ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين¹ في 5 ماي 1931، ببرنامجها الذي يهدف أولاً إلى تنقية الإسلام ممّا علق به من الشوائب، ومحاربة جمود الزوايا والمحافظة على اللغة العربية والتاريخ القومي الإسلامي²، لهذا عملت الجمعية على دعوة الجزائريين إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمد من القرآن والسنة والتمسك بعقائده وشعائره، فعمدت إلى بناء المساجد الحرة لإلقاء دروس الوعظ للعامة، والدروس العلمية لطلاب علوم الدين واللغة³، وأسست المدارس العربية الحرة لتعليم وتربية البنين والبنات فأنشأت مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936 ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر ومدرسة تهذيب البنين بتبسة⁴، كما إهتمت بإصدار الصحف والمجلات فبادرت في سنة 1925 لإنشاء جريدة المنتقد، وفي نفس السنة أسست جريدة الشهاب، ثم أصدرت جرائد السنة والصراط والشرعية عام 1933، لتوعية وتثقيف الشعب الجزائري وتربيته تربية عربية إسلامية، لهذا نفت الإعتقادات الباطلة التي جاءت بها الطريقة كالتبرك بأضرحة الأولياء والإعتقاد في قدراتهم، وإدعاء قدسية شيوخ الطرق، وإختراع أذكار محرفة وقربات مخالفة للكتاب والسنة وما إلى ذلك من المنكرات⁵، وقد حاربتها الجمعية لأنها شوّهت فكر العامة ووصمته بالتأخر والجمود، ومن هنا كان من أهداف الجمعية تحرير الفكر من البدع والخرافات، حتى يستطيع الفرد تأدية رسالته في نهضة المسلمين وتقدمهم، لهذا عمدت إلى تطهير الإسلام من الخرافات والأوهام فجابهت الطريقة الفاسدة⁶، التي هاجمها ابن

¹ كان تأسيسها بنادي الترقى بالجزائر العاصمة يوم 5 ماي 1931 بعد الإحتفالات التي شنتها الجزائر بمناسبة مرور قرن على إحتلالها للجزائر، وذلك بناء على دعوة من اللجنة التأسيسية التي كان يترأسها عمر إسماعيل، وقد تم في هذه الجلسة وضع القانون الأساسي للجمعية وتعيين أعضاء هيئتها الإدارية، التي قامت بإنتخاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيساً لها، والشيخ البشير الإبراهيمي نائباً له، وأنتخب لأمانة المال الأستاذ مبارك الملي وإبراهيم بيوض مساعداً له. للمزيد أنظر : عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها...، ص 101-109.

² نفسه، ص 111.

³ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص ص 222-225.

⁴ عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور...، ص 140.

⁵ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص ص 222-225.

⁶ تركي رابح، المرجع السابق، ص 441.

باديس بقوله : >> إن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها مبني على الغلو في الشيخ، والتحيز لأتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ، وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من إستغلال وإذلال، وإعانة لأهل الإذلال والإستغلال، ومن تجميد للعقول، وأماتة للهمم، وغير ذلك من تلك الشرور<<¹، وفي خضم هذه المعركة التي دارت بين ابن باديس وأنصاره وبين الطرق الصوفية المتحالفة مع الإستعمار، حاول أحد مريدي الطريقة العلوية إغتيال ابن باديس في مدينة قسنطينة عام 1927، وذلك أثناء عودته من الجامع الأخضر بعد إنهائه درسا في التفسير، ولكن المحاولة فشلت وعفا الشيخ عن الجاني، الذي كان قد ضربه بالعصا على رأسه وكاد يطعنه بخنجره، لولا مدافعته عن نفسه وتدخل المارة لإنقاذه².

أما الهدف الثاني فكان يرمي لإسترجاع إستقلال الجزائر وتكوين دولة عربية إسلامية على المدى البعيد، لهذا ركزت الجمعية على التنديد بالحكم الإستعماري وممارساته الظالمة وقاومت سياسة التجنيس، حيث أصدرت الجمعية فتاوى بتكفير كل جزائري يتخلى عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية من أجل الإدماج والتجنيس بالجنسية الفرنسية، وإعتبرت من يقوم بذلك مرتد عن الإسلام³، كما خاضت كفاحا مريرا ضد دعاة الإدماج وفي مثال على ذلك رد عبد الحميد بن باديس على مقال فرحات عباس⁴ "فرنسا هي أنا" قائلا : >> إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد

¹ تركي رابح، المرجع السابق، ص 441.

² أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985، ص 132.

³ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص ص 223 - 224.

⁴ فرحات عباس : سياسي جزائري، ولد في 1899 بولاية جيجل بالجزائر، تحصل على دبلوم صيدلة من جامعة الجزائر، أنشأ جمعية أحباب البيان والحرية في مارس 1944، نادى في البداية بالإدماج الكلي للجزائر مع فرنسا ثم تطورت مطالبه إلى الإدماج مع المحافظة على الهوية العربية الإسلامية. للمزيد أنظر : عبد الكريم بو الصفصاف وآخرون : معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 - 20، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، دط، عين مليلة الجزائر، 2004، ص ص 206 - 211.

أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري <<¹، كذلك وقفت الجمعية ضد كل محاولات الإستعمار الفرنسي الرامية لمسح الشخصية الجزائرية من معالمها العربية والإسلامية فحاربت التنصير والإلحاد، كما حاربت السياسة البربرية التي هدفت فرنسا من وراءها إلى تفريق الشعب الجزائري وتمزيق وحدته، فحاولوا فصل المناطق التي يقطنها الأمازيغ عن أجزاء الوطن الأخرى، ومنعوا تدريس الثقافة العربية الإسلامية لأبناء القبائل وعوضوها بتعليم الثقافة الفرنسية، بهدف فرنستهم وتجنيسهم، ولكن رغم الجهود التي بذلتها فرنسا لتحقيق ذلك إلا أنها لم تنجح في مخططها، إذ تصدى لها العلماء وأكدوا للشعب الجزائري أن العرب والأمازيغ قد إنحدروا من أصل واحد، وأن الإسلام قد مزج بينهما في بوتقة واحدة، فهم شعب واحد يشترك في الدين واللغة والتاريخ²، وبهذا نخلص للقول بأن جمعية العلماء كانت نتاج لفكرة الجامعة الإسلامية وأن نشاطها يعد إمتدادا طبيعيا لنضال رواد الجامعة الإسلامية في المشرق العربي، لأنه جهاد يهدف إلى توحيد الأمة الإسلامية³، والعودة بالدين إلى منابعه الأولى المتمثلة في الكتاب والسنة وسلوك السلف الصالح، والثورة على الجمود الفكري والبدع والخرافات ومحاربة الجهل والإستغلال، ومعنى ذلك خلق مجتمع جديد ينزع حتما للإستقلال وإزالة الإستعمار الجاثم على البلاد.

وفي خاتمة هذا الفصل نستخلص أن رواد الإصلاح بالجزائر كانوا من المتشبعين بأفكار الجامعة الإسلامية، ومن الساعين على تقويتها بشتى الوسائل فقد تبنى هؤلاء فكرتها ثم نقلوا ذلك لعامة الناس في الجزائر، فكانت وسائلهم في ذلك المحاضرات والدروس والمقالات الصحفية في الجرائد العربية، كما كانوا مضطلعين بكل طرق الدعوة الصحيحة لإقناع الناس بالإصلاح القويم، وبالتالي فإن دعوة رواد

¹ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 224.

² عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها ...، ص ص 127-131.

³ ويتجلى ذلك في حمل هموم العرب والمسلمين، والتألم لواقعهم، وتبني قضاياهم والدفاع عنهم فقد خصصت جرائد الجمعية عدة مقالات نددت فيها بالإستعمار البريطاني الإيطالي، كما كانت تتابع كل تطورات الحركات الوطنية في كل بلاد العالم الإسلامي.

الجامعة الإسلامية قد أثرت على المصلحين الجزائريين، أما باقي فئات المجتمع الجزائري فظهر تقبلها لفكرة الجامعة الإسلامية من خلال تضامنها مع قضايا الدولة العثمانية وهذا ما سنتناوله في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

الفصل الرابع : أهم القضايا التي جسدت

التضامن الفعلي للجامعة الإسلامية ورد فعل

الإستعمار الفرنسي منها

أولا : أهم القضايا التي تضامن فيها الجزائريون مع الخلافة

العثمانية

ثانيا : رد فعل السلطات الفرنسية على دعاية الجامعة الإسلامية

بالجزائر

الفصل الرابع : أهم القضايا التي جسدت التضامن الفعلي للجامعة الإسلامية ورد فعل الإستعمار الفرنسي منها

لئن وجدت الجامعة الإسلامية صداها في الجزائر من خلال الكتابات المنادية بفكرتها أو تجسيد مبادئها في نشاطات زعماء الحركة الإصلاحية، فإن الأحداث الجسام التي وقعت فيها الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن العشرين زادت إلتفاف الجزائريين حولها، من خلال التنديد بهجمات الدول الأوروبية على أجزائها أو التآزر معها عمليا، وبهذا كانت الجزائر مسرحا تجسدت فيه مبادئ الجامعة الإسلامية التي حاول الإستعمار الفرنسي إضطهاد عواطفها بشتى الأشكال. وهذا ما سنحاول التفصيل فيه في هذا الفصل إنطلاقا من الإجابة على التساؤلات التالية :

ماهي أساليب التعبير التي أظهر بها الشعب الجزائري تضامنه مع الأحداث التي مرت بها الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين؟ وكيف كان رد فعل سلطات الإحتلال على دعاية الجامعة الإسلامية بالجزائر ؟ وعلى نشاط المؤمنين بها ؟
أولا : أهم القضايا التي تضامن فيها الجزائريون مع الخلافة العثمانية

توالت على الخلافة العثمانية جملة من الأحداث السياسية التي تسببت في فقدانها لأجزاء من العالم الإسلامي، خصوصا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فكانت تلك الأزمات التي أثرت على مكانة الخلافة الإسلامية أمام الدول الأوروبية وراء إحساس المسلمين بضرورة مساندتها ودعمها حتى تتمكن من التصدي للأخطار المحدقة بها، ومن أهم الحوادث التي هزت المسلمين عامة والجزائريين خاصة وقوع الحرب العثمانية الإيطالية في ليبيا 1911، ودخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء في 1914، وكان الحدث الهائل الذي ترك صدا واسعا في أرجاء العالم الإسلامي هو تلك الضربة القاصمة التي أنزلها الكماليون بعرش الخلافة يهدون أركانها فقد آلم المسلمون أن يروا خليفتهم السلطان عبد المجيد¹ ملقى

¹ السلطان عبد المجيد : من مواليد 1868 بأستنبول، تولى عرش السلطنة العثمانية في الفترة الممتدة (1922- 1924)، يعتبر آخر السلاطين العثمانيين، جرده مصطفى كمال من السلطة الزمانية، وبعدهما ألغى الخلافة سنة 1924 طرده وعاش في المنفى، توفي عام 1940، أنظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 718. كذلك، عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج3، ص 854.

على أعتاب الأوربيين بعد أن طرده الأتراك، فأحسوا حينها بخيبة أمل كبيرة حينما أصبح الساعون لتفكيك عرى الجامعة الإسلامية هم أبناءها الذين كانت تنتظر منهم أن يضعوا تاج الوحدة والتضامن على مفرقها.

1. الإحتلال الإيطالي لليبيا 1911 :

دون الخوض لا في أسباب ذلك الإحتلال ولا في أطواره نشير فقط إلى أن إيطاليا التي مهدت لحملتها المذكورة بتحركات دبلوماسية مكنتها من عزل الدولة العثمانية دبلوماسيا، بادرت يوم 27 سبتمبر 1911 إلى إرسال إنذار للباب العالي تبلغه فيه بنيتها في إحتلال ليبيا، وتطلب منه تسهيل عملية الإحتلال بحجة حماية رعاياها¹، وإتهمته بالعدوان ومقاومة النشاط الإيطالي وإضطهاد الرعايا الإيطاليين ومصالحهم، وأعطته مدة 24 ساعة للردّ عليها، وقبل إنقضاء المدة قدمت الحكومة العثمانية² ردّها على الإنذار إلى السفير الإيطالي بأسطنبول، وقد أبرز الرد العثماني جملة من النقاط التي ركزت على إظهار وكشف إدعاءات إيطاليا، كما أوضحت أن الحكومة العثمانية تدعو إلى إجراء مفاوضات بين البلدين بهدف تجنب الحرب وحسم النزاع بطرق سلمية، ولكن إيطاليا رفضت كل محاولات الدولة العثمانية، وأعلنت الحرب على ليبيا فبدأت في 29 سبتمبر بإنزال قواتها على السواحل الليبية وفي يومي 3 و4 أكتوبر شرعت في قصف مدينة طرابلس³، وفي 18 أكتوبر 1911 وقعت الدولة العثمانية مع الدولة الإيطالية إتفاق الصلح الذي إنتقلت بموجبه السلطة في ليبيا إلى

¹ إسماعيل ياغي ومحمود شاكِر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ، دط، الرياض السعودية، 1993، ج2، ص73.

² للتذكير فإن الدولة العثمانية كانت على علم بالأطماع الإيطالية في ليبيا، وقد طلب الليبيون من الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا إرسال وسائل تحصينات لطرابلس وذخائر حربية وبحرية للإستعداد لهجوم إيطاليا، لكن الصدر الأعظم لم يعمل شيئا، لهذا أتهم بالتواطئ مع الطليان وتسليم الولاية إليهم. أنظر : رأفت الشيخ : تاريخ العرب المعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دط، د م ن، 1996، ص ص 115 - 116.

³ عبد المنصف حافظ البوري : الغزو الإيطالي دراسة في العلاقات الدولية ، الدار العربية للكتاب، دط، د م ن، 1983، ص ص 287 - 291 .

إيطاليا وإنسحبت القوات العثمانية منها¹، حيث عمدت الدولة العثمانية لسحب جنودها من ليبيا لإستعمالهم في قمع الثورات في اليمن وألبانيا، كما عملت على إخراج الوالي التركي منها ولم تعين أحدا مكانه.

لقد كان هذا التهاون في حق ولاية طرابلس الغرب وراء نقمة المسلمين الذين إتهموا الإتحاديين ببيع الولاية للإيطاليين، فتعالت أصوات المغاربة محذرة من ذلك التهاون²، وأقدمت الصحف على إطلاق حملة إعلامية مناهضة للحملة الإيطالية على ليبيا، ومنها ما جاء في جريدة " الحق الوهراني " ³ في الجزائر التي كتبت >> لم تجد إيطاليا نفعا ما من غزوها سواحل طرابلس ولمهاجمتها الأماكن المقدسة (...) وهو ما لا نتوقع حدوثه، وإلا رأينا مسلمي البلاد العثمانية لا يلوون على محبة أو إخاء أو مدينة، بل يهتّون عن بكرة أبيهم كالأسود الكاسرة للإنتقام لدينهم وسرعان ما تتبعهم جميع الممالك الإسلامية (...) لا شك ولا شبهة قط في أن الظفر سيكون حليف العثمانيين، لأنهم على أقل تقدير ببلادهم من الكنائس وأربابها عشرات آلاف مرات ما قد يوجد من المساجد بالممالك الأجنبية << ⁴، ومثلما نلاحظ فقد حذرت الجريدة المسلمين من الغزو الإيطالي لليبيا، كما أبدت تفاعلا لإندفاعهم للدفاع عنها. هذا ولم تركز الجريدة على التنديد بالجرم الذي أقدمت عليه إيطاليا بحملتها على طرابلس الغرب وفقط، بل حثت الجزائريين على دعمها ماديا إذ دعت الشعب الجزائري إلى الإتحاد والتضامن، وتدعيم كفاح الشعب الليبي ضد العدوان الإيطالي

¹ أمل عجيل : موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية 19- 20، Edito Creps، دط، د م ن، 1998-1999 ، ص23 .

² التليلي العجيلي، المرجع السابق، 145.

³ الحق الوهراني : صحيفة أسبوعية صدر العدد الأول منها في مدينة وهران 1911، وكان مديرها فرنسي يدعى شارل تابي Tapé وهو شخصية متحمسة للإسلام ، كانت في أول أمرها تصدر باللغة الفرنسية وبداية من العدد الواحد والثلاثين أضيفت لها صفحة أو صفحتين باللغة العربية، وقد عرف عنها إتجاهها العربي الإسلامي، إختفت عن الصدور في شهر أوت 1912. أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 34 - 35 .

⁴ الحق الوهراني، العدد 39، من 6 إلى 13 جويلية 1912، نقلا عن إبراهيم مهيد : " الصراع حول الهوية والانتفاء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية : الحق الوهراني أنموذجا (1911- 1912) "، مجلة عصور، وهران، عدد6-7، جوان- ديسمبر 2005، ص 12.

لأن ذلك يعزز هوية الجزائريين على مرجعية الجامعة الإسلامية والتضامن الإسلامي الحقيقي فكتبت >> لأن كل مسلم في أي قطر كان في العالم شرقا أو غربا لا تفصله أية قوة عن الارتباط بهذه الوحدة المذهبية الدينية إن تمسك بدينه، أما إذا إنصرف عن شريعة وسنن هداية الرسول الأكرم وترك الارتباط بهذه الوحدة لا يبقى للإسلام أثر ولا تبقى لكلمة الإتحاد الإسلامي معنى الشمول والتعميم <<¹ ومثلما نلاحظ فقد ربطت هذه الجريدة تضامن الجزائريين مع ليبيا بالعامل الديني (الإسلام)، وهذا بالتأكيد لحمل الجزائريين للتفاعل مع الحرب العثمانية الإيطالية في طرابلس، هذه الحرب التي هزت أحداثها² مشاعر الجزائريين وأثارت عواطفهم فهبوا لمساعدة إخوانهم الليبيين، الأمر الذي حمل إدارة الحق الوهراني مع المتعاطفين عبر القطاع الغربي من الجزائر لتأسيس لجان " الهلال الأحمر"، عبر العمالة قصد الإكتتاب لصالح المسلمين المتضررين من جراء الحرب، كما وزعت اللجان الجزائرية في الوسط والشرق أيضا، فجمعت لجنة مدينة مستغانم في ظرف أسبوعين أزيد من 3000 فرنك فرنسي، تلتها مدينة وهران فتملسان³.

وفي 28 جانفي 1912 عقد شبه مؤتمر حقيقي في وهران حضره حوالي أربعين عضوا من مسؤولي تلك اللجان، وكان المؤتمر تحت رئاسة النائب العام الذي قدم عرضا عن هذا الإكتتاب الذي بلغ 36.1999 فرنك أقتطع منه ألف فرنك لصالح جريدة الحق الوهراني، أما عملية الإكتتاب العام فقد حصلت على حوالي 41.000 فرنك، وأعتبرت الإعانة المالية من الجزائريين لإخوانهم الليبيين نموذجا في التضامن الداخلي للجامعة الإسلامية⁴، ومن وادي سوف⁵ إنطلقت بعثة من مئة وستين رجل

¹ الحق الوهراني، العدد 38، من 29 إلى 6 جويلية 1912، نقلا عن إبراهيم مهديد، المقال السابق، ص 13.

² أنظر الملحق رقم : (5).

³ إبراهيم مهديد، المقال السابق، ص ص 13 - 14 .

⁴ نفسه، ص 14.

⁵ وادي سوف : هو الإقليم الواقع جنوب شرق الجزائر، يحده من الشرق نفطة ونفزاوة وهي حدود تونسية، ومن الجنوب واحات غدامس الليبية، ومن الشمال تحده بسكرة، أما من الغرب فيحده وادي ريغ وورقلة. للمزيد أنظر : موسى بن موسى : " الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900 - 1939)"، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، نوقشت في 2005 - 2006، ص 19.

مجاهد مجهزين بالعتاد الحربي إلى ليبيا، وقد كونها الشيخ الهاشمي الشريف¹ شيخ الطريقة القادرية بعد مراسلة تمت بينه وبين سليمان الباروني² يطلب منه فيها المساعدة في التصدي للإحتلال الإيطالي، فقام الشيخ الهاشمي بمغالطة الإدارة الفرنسية حيث طلب رخصة للتجارة لحمل سلع من الوادي، وبهذه الطريقة إستطاع المجاهدين الوصول إلى ليبيا وشاركوا أهلها في الحرب ضد الإيطاليين³، فحسب ما ترويهِ الروايات دخل هؤلاء من >> غدامس لكن الوالي التركي إعترض سبيلهم، لكنه بعدها خضع لأوامر سليمان الباروني فأرسلهم إلى مصراته، حيث وصلوا إلى الزاوية وبها تدربوا وزودهم الباروني بالسلاح اللازم للحرب <<⁴، كذلك ومن بين الإشارات التي أظهر فيها الجزائريون حقيقة تضامنهم مع ليبيا، إهتمام شيوخ وادي ميزاب بحربها فكانوا يدعون الناس للتبرع بالأموال والسلاح ويحثون به إلى المجاهدين الليبيين، كما كانوا يتابعون أخبارها عبر الصحف الواردة إليهم ويدعون إلى الله أن ينكسر المستعمرين و ينصر إخوانهم الليبيين⁵، كما عمت الجزائر موجة من التضامن في شكل شكل تآزر جماعي حيث علق سكان الجزائر الملصقات الحائطية الداعية للتظاهر أمام قنصلية إيطاليا للتنديد بما فعلته دولتهم بإخوانهم الليبيين⁶، كما دعوا إلى مقاطعة التجار

¹ الشيخ الهاشمي الشريف : ولد بتونس 1853، تولى أمر زاوية عميش للطريقة القادرية في وادي سوف في حوالي 1886، تجاوب مع فكرة الجامعة الإسلامية، وكان مناصرا للعديد من قضايا العالم الإسلامي، توفي في 1923. أنظر : محمد السعيد عقيب : " أضواء على مشاركة أهل سوف في المقاومة الشعبية للإحتلال الإيطالي بليبيا "، مجلة العهد الثقافي، المركز الجامعي بالوادي، العدد الثاني، جوان 2005، ص ص 72- 73.

² سليمان الباروني : من مواليد 1870 في كاباو بطرابلس الغرب، وهو زعيم سياسي ومجاهد، تلقى تعليمه في كل من مصر تونس والجزائر، عرف بنشاطه لصالح الجامعة الإسلامية لهذا أختير نائبا عن طرابلس في مجلس المبعوثين بالأستانة عندما أعلن الدستور العثماني سنة 1908، وعندما نشبت الح ع في 1914 وجهته حكومة الأستانة قائدا لطرابلس، فباشر القتال بها إلى أن أكرهت الدولة العثمانية للتخلي عنها بعد هدنة 1918، فعقد الطرابلسيون صلحا مع إيطاليا سنة 1919 كانت له يد فيه، توفي في 1940. أنظر : الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص ص 129- 130.

³ محمد السعيد عقيب، المقال السابق، ص 70.

⁴ نفسه .

⁵ محمد علي دبوز، المصدر السابق ، ج2، ص332.

⁶ للمزيد أنظر : محمد ودوع : الدعم الليبي للثورة التحريرية، منشورات الرياصي، دط، الجزائر، 2012، ص ص 19- 53.

التجار الإيطاليين والمساهمة في التبرعات لتوفير الإعانات المالية للحكومة العثمانية في حربها مع إيطاليا في ليبيا¹.

ولا تفوتنا في إطار حديثنا عن ردود الفعل التي أثارها أحداث طرابلس الغرب في الجزائر، الإشارة إلى ما مثلته القضية² بالنسبة لعمر بن قنور فقد رأى صاحب جريدة الفاروق في ضياع طرابلس بداية إنفراط العقد الإسلامي وبداية سقوط حباته الواحدة تلو الأخرى، معتبرا أن الحرب الطرابلسية تمثل الفرصة الأخيرة للعالم الإسلامي³، كما أنه وجه صرخته في عقر دار الدولة العثمانية التي نغم عليها لعجزها عن مساندة ليبيا في تصديها للغزو الإيطالي، وحذر من تبعات ذلك التهاون فكتب في جريدة الحضارة مقالا بعنوان " ليتقوا الله في طرابلس " حذر فيه الإتحاديين من ضياعها فكتب قائلا : >> فليتنق الله أرباب الأمر خاصة والشرقيون عامة في طرابلس الغرب وبرقة، ليتمسكوا بعدم إعطاء العدو اليوم ما منعه أمس، كل أحد يعلم أن ضياع طرابلس الغرب وبرقة إذا أمضى عليه في عقد الصلح ولو تتويها أو تلويحا، فإن الشرق يضيع البتة، وتصبح الأبصار الإسلامية منصرفة عن مركز الخلافة (...) فليتنق الله أرباب الأمر في طرابلس الغرب وبرقة، وليصونوا عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تلك القطعة وأهلها بصفتهن مسلمين وشرقيين، لا بصفتهن منتسبين إلى عنصر يخشى من ثورته أن ألقى بهم فم إيطاليا المفتوح حولهم <<⁴. ومثلما نلاحظ فقد ساند الجزائريون إخوانهم الليبيين قولا وعملا، وكانت هذه المساندة بالفعل تعبر عن ولاء الجزائريين للدولة العثمانية.

¹ التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص ص 152 - 153.

² عالج عمر بن قنور قضية طرابلس الغرب في جريدة الحضارة بالأستانة بالمقالات التالية : نبذة عن طرابلس الغرب، بني الطليان (شعر)، التيار السياسي، الأسوة الحسنة في طرابلس الغرب (شعر)، ليتقوا الله في طرابلس الغرب. أنظر : صالح خرفي : في رحاب المغرب العربي ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت لبنان، 1985، ص74.

³ نفسه.

⁴ صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، ص127.

2. الحرب العالمية الأولى 1914 :

للتذكير فإنه لما نشبت الحرب العالمية الأولى في الثاني من أوت 1914 بادرت الدولة العثمانية في البداية إلى إعلان الحياد، لكنها لم تلبث أن أعلنت التعبئة العامة خوفا من أي إعتداء خارجي، فبادرت إلى بث الألغام في مضيق الدردنيل والبوسفور مانعة المرور منهما، بعد أن أتت إلى الأستانة المدرعتان الألمانيةتان غوبن Goeben وبريسلاو Breslau واللذان كان الأسطول الفرنسي والإنجليزي في مطاردهما عبر المتوسط، بعد أن بادرتا في يوم 4 أوت 1914 إلى قنبلة ميناء عنابة وفليب فيل Philippeville في الجزائر¹.

ثم تتالت الأحداث بسرعة ورفضت الدولة العثمانية تسليم المدرعتين، كما رفضت الإستجابة إلى الإنذار الذي وجهته لها بريطانيا، فما كان من سفراء روسيا وبريطانيا وفرنسا إلا أن غادروا القسطنطينية في وقت كانت الدولة العثمانية قد بادرت إلى إلغاء الإمتيازات الأجنبية²، فتم يوم 2 نوفمبر 1914 قطع العلاقات الدبلوماسية معها، ثم أعلن الحلفاء الحرب عليها يوم 3 نوفمبر 1914 وبهذا إنساقَت الدولة العثمانية في حرب عالمية بدأتها بإعداد دعاية إعلامية لإستتفار المسلمين لجانبها وإثارتهم ضد أعدائها الذين هجموا عليها، وإستخدمت في ذلك سلاح الدين³ فبدأت المبادرة بإصدار فتوى تتعلق بإعلان الجهاد، وقد جاء في " الفتوى الشريفة " التي حررها خيري بن عون الأركوبي وأعلن عليها يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914 بجامع الغازي محمد فاتح مايلي : >> أن مهاجمة الأعداء للديار الإسلامية والغارة عليهم، مع ما ترتب على ذلك من غصب للممالك الإسلامية، وأسر وسبي للمسلمين يفرض عليهم جميعا الجهاد إستجابة لأمر خليفة الإسلام <<⁴.

¹ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 223.

² الإمتيازات الأجنبية : إمتيازات كان يتمتع بها رعايا بعض الدول الغربية في مناطق معينة من العالم ولا سيما في الشرق الأوسط وآسيا، وكان يسمح بموجبها للدول الغربية بإقامة محاكم خاصة بها في أراضي الدول الأخرى لكي تحكم رعاياها المقيمين في تلك الأقطار، وكانت تلك الإمتيازات بابا للتدخل الأجنبي وإثارة الفتن الداخلية وخطوة نحو السيطرة الأجنبية. للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 309 - 310.

³ التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 224 .

⁴ نفسه، ص ص 227 - 228 .

وتبع هذه الفتوى نشر بيان حرره أعضاء " المجلس الديني الأعلى " المجتمع في 20 نوفمبر 1914، وقد جاء في البيان المذكور أن الجهاد المقدس الذي دعي إليه كافة المسلمين قد أعلن ضد كل أعداء الإسلام الذين تبقى تحت هيمنتهم وعبوديتهم ملايين المسلمين، موضحاً أن مهاجمتهم لدار الخلافة هي مساهمة في إضعاف سند المسلمين الوحيد والضامن لبقاء الإسلام، كذلك أشار البيان إلى إنتهاكات الأعداء في حق المسلمين، إذ عدد لهم تجاوزاتهم في حق مقدسات المسلمين بالمواطن التي إحتلوها، ثم أثار غيرة المسلمين وحميتهم الدينية ليندفعوا من أجل الدفاع عن مقدساتهم وحرماتهم فخطبهم النداء قائلاً : "هبوا من سباتكم، ولبوا دعوة خليفكم، وقاتلوا الكفار وانصروا دين الله". هذا إذا النداء الذي وجه إلى كافة المسلمين، أما مسلمي المستعمرات فقد وجهت لهم الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا دعاية خاصة قصد إختراق الستار الحديدي الذي ضربه الحلفاء عليهم¹.

وفي هذا الإطار عرفت الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى دعاية عثمانية ألمانية حثيثة لصالح الجامعة الإسلامية، إذ أعلنت الدولة العثمانية وحليفها ألمانيا أن هدفها هو مساعدة شعوب شمال أفريقيا على تحرير بلدانهم من الإستعمار الفرنسي الكافر، لكن هدفها الأول في الواقع كان خلق صعوبات ومشاكل لفرنسا في مستعمراتها علّ ذلك يساهم في إضعافها في الحرب²، وإستناداً على ذلك كانت ألمانيا العاطفة على آمال حركة الجامعة الإسلامية، قد بدأت دعايتها في الجزائر منذ سنة 1900، حيث أكد الكاتب الفرنسي ديارمي سنة 1915 >> أن ألمنة الجزائر قد بدأت خلال الخمس عشر سنة الماضية <<³، وقد قام بهذه العملية سياح وتجار ومتقفون وجواسيس ترددوا على الجزائر كثيراً لاسيما في السنوات القليلة قبل إندلاع الحرب، وبناءاً على رأي كاتب

¹ التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص ص233- 240 .

² ناصر بالحاج : "مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري (1912 - 1916)"، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ المعاصر)، تحت إشراف حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، نوقشت في 2004 / 2005، ص 143.

³ ج. ديارمي "بعض أصداء الدعاية الألمانية في الجزائر"، ص 48، نقلاً عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 240 .

فرنسي آخر فإن هؤلاء الدعاة الألمان قد حاولوا تدعيم علاقاتهم مع الشعب الجزائري، وقد إستعملوا كل فرصة لتحريض الجزائريين على الثورة ضد فرنسا¹. ومنذ مارس 1913 أوضحت ألمانيا أن هدفها مساعدة سكان شمال أفريقيا على إحداث ثورة عامة ضد فرنسا، وتماشيا مع ذلك وضعت ألمانيا خطة لخلق صعوبات في المنطقة عن طريق الزعماء السياسيين والدينيين²، الذين إعتمدت عليهم في دعايتها خاصة في الجزائر، وقد إختارت ألمانيا هؤلاء لأنها كانت على يقين بما لهم من تأثير على الجزائريين المتمسكين بالدين الإسلامي الذي يدعوهم للجهاد ضد الأعداء. ولكن الدعاة الألمان كانوا لا يتفقون على قوة الحركة الوطنية الجزائرية ومقدرتها على إضعاف فرنسا، فبعضهم كانوا يعتبرونها ضعيفة جدا بحيث لا تستطيع أن تعلن الإستقلال عنها، ويعتقد آخرون أنها كانت قوية إلى درجة أنها تشكل خطرا على الحكم الفرنسي، وقد كان المستشرق الألماني كارل بيكر من أصحاب هذا الرأي إذ كان مقتنعا بأن الجزائريين يشكلون خطرا على فرنسا، بدليل رفضهم لحكمها منذ عهد الأمير عبد القادر، كما أكد في كتابه " ألمانيا والإسلام " deutschland and der islam على أن الإسلام عامل مهم ورهان من رهانات ألمانيا في الحرب، فهي تعتبر نفسها صديقة حميمة للإسلام بحكم تحالفها مع الدولة العثمانية، وكانت تتشر في دعايتها بأنها حامية المسلمين وأن مستقبل الخلافة العثمانية مرهون بها³. ويبدو أن الدعاية الألمانية قد راهنت على الرأي الثاني فحاولت أن تثير الأهالي ضد فرنسا وأن تدفعهم إلى القيام بثورة ضدها، مستغلة في ذلك تحالف السلطان العثماني مع القيصر الألماني، وإعلان الجهاد على الغرب المسيحي من طرف شيخ الإسلام آنذاك حيث أعلن للمسلمين الذين يخضعون للإستعمار الفرنسي والإيطالي، أن يوحدوا صفوفهم لمحاربة هذا الإستعمار وهو ما أحدث هلعا كبيرا لدى الفرنسيين، كما تلى ذلك إصدار فتوى من كبار مشائخ المسلمين بإعلان ثورات ضد الغرب

¹ ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص144.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص 241 .

³ ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص ص 144 - 145 .

المسيحي¹، وبخصوص رد الفعل الجزائري على هذه الفتوى فتقر الدراسات على أن أثرها كان محدوداً، إذ أن مفهوم العثمانيين للجهاد كان يشمل كل المسلمين للذود عن الخلافة الإسلامية، بينما كان جهاد الجزائريين في هذه المرحلة في إطار وطني أي ليس بإسم الجهاد الذي أراده السلطان العثماني في إطار الجامعة الإسلامية².
وقد إمتدت الدعاية بين الجزائريين إلى النشاطات السياسية أيضاً، فقد عين السلطان العثماني سليمان الباروني كخليفة له في ليبيا مع تعليمات خاصة بتشجيع الثورات في أفريقيا الشمالية³، هذا وحرصت الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا على إستمالة عدد من وجهاء المهجرين لكسب تأييدهم، وهو ما بادرت الدولة العثمانية له إذ سارعت في كسب ولاء عائلة الأمير عبد القادر في المشرق، فعملت على ترقية الأمير علي من نائب على دمشق إلى نائب رئيس المجلس الوطني العثماني، كما تم إستقباله في ديسمبر 1914 من طرف وزير الداخلية العثماني ليدخل في إتصالات مع سفارة ألمانيا في القسطنطينية، ويوجه إلى برلين في مهمة تقضي بزيارته لأسرى شمال أفريقيا لحملهم على الإنخراط في الجيش العثماني⁴.
و بفضل هذه الدعاية بدت ألمانيا في أعين المسلمين عامة والجزائريين خاصة أنها صديقة السلطان ورعاياه، وفي المقابل بدى الحلفاء في صورة أعداء الإسلام والمسلمين، وظهرت فرنسا بالنسبة للجزائريين في صورة جلاذ الشعب وأن العثمانيون والألمان هم منقذوا الشعوب الإسلامية المضطهدة، لذلك لم تتجح فرنسا في إستمالة شعب الجزائر إلى صفها، اللهم إلا المتخاذلين والمنفعيين من القياد والأعيان والموظفين الذين بادروا إلى إرسال برقيات تأييد إلى أسيادهم، ودعوا الشعب الجزائري إلى الإلتفاف حول فرنسا والتطوع للحرب في صفوفها⁵.

¹ ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص145.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 245 - 246 .

³ نفسه .

⁴ نفسه، ص ص 245 - 248 .

⁵ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص212.

وبهذا كان الجزائريون معادين في جملتهم لفرنسا رافضين المشاركة في الحرب معها وتجلت مواقفهم تلك في القيام بمظاهرات وتوزيع منشورات وتعليق ملصقات معادية للتجنيد والإحتلال، وظهور أدب شعبي ممثل في أغاني وأشعار وأمثال تندد بفرنسا وتؤيد العثمانيين والقيصر الألماني غليوم الثاني الذي كانت تنعته " بالحاج غليوم " ¹، وقد كانت تلك الأغاني منتشرة في كل أنحاء الجزائر وقد صورت غليوم الثاني قويا مثل الفهد فلقب " بالمنصور " و " بقُدّور "، وهي ألقاب حافلة بمعنى الفعل والقوة في إعتداد واضح من قبل الأهالي بقوة ألمانيا وقدرتها العسكرية التي كانت وراء ثقتهم في إنتصارها، كما جمعت الأغاني الشعبية بين إنهزام الفرنسيين وإنتصار الألمان الذين سيزحفون على فرنسا ويدمرون باريس، وكل ذلك بفعل غليوم المرعب الذي يضرب السماء بمناطيدته وتحت الماء بغواصاته، وعلى سطح الأرض وبذلك يمحق الفرنسيين بواسطة أولئك الأسود الأتراك والألمان، وتعود الجزائر إلى ما كانت عليه سابقا قبل الإحتلال الفرنسي وكل ذلك بفعل غليوم الثاني المنتصر كسبعة أمم ².
لئن عكست تلك المقاطع مدى الحقد والنقمة على الإستعمار والتمني في إنعتاق الجزائر، فإنها كانت تسخر من هزائم فرنسا و تشيد بإنتصارات ألمانيا وتمدح إمبراطورها غليوم حليف الخليفة العثماني محمد رشاد الخامس، وهذا ما نلاحظه من خلال مقاطع من قصيدة " الحاج غليوم " التي تبتدئ بتهديد الفرنسيين بقرب نهاية حكمهم الإستعماري في الجزائر على يد الألمان ³ بذكرها :

يا الفرنسيين واش في بالك	الجزائر ماشي ديالـك
يجي لالمان يديها لـك	لابد ترجع كيف زمـان
أي أي كي نعمل لـه	الحاج غيوم يطلع سعـده ⁴

ثم تتمنى القصيدة إنتصار العثمانيين والألمان الذي فيه إنتصار للجزائر ودعت الله لذلك
بـ :

¹ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص212 .

² التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص286 .

³ ناصر بلحاج، المرجع السابق، 149.

⁴ نفسه .

بسنـاجق ترفرف خـضـراء	" الجزائر لك البشـرى
وسفاينا تمشي وتـروح	الدردنيل أصبح مفتـوح
الله ينصر الحاج غيـوم	يا حي يا قيـوم
الله يخذل جيش الموسـكو	يارب يا ذا المـلك
الله يدل جيش لافرانـص	نتسول لك بالخـواص
أخلي الملك من جيش الإنجـليز	يا جبار يا عزيزـز
أمين يارب العالمـين" ¹	أمين أمين أميـن

ويتجلى مضمون هذه الأبيات الشعرية في تأييد الجزائريين للعثمانيين والألمان

في حربهم، فقد تمنى لهم الأهالي النصر على الحلفاء كما أن تآزرهم مع الخلافة الإسلامية لدليل على الوعي الذي كان عليه الجزائريين بعلاقتهم بها، وهو حتما يعكس ولاء الأهالي للسلطان العثماني رمز وحدة المسلمين وجامع كلمتهم، ودليل على الانتماء لفكرة الجامعة الإسلامية.

3. مسألة إلغاء الخلافة العثمانية 1924 :

شكلت مسألة الخلافة في الجزائر قضية ذات أهمية كبرى، خاصة وأن الجزائر قد إرتبطت بالدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية أكثر من ثلاث قرون، وحتى وإن كانت الجزائر قد فقدت ولائها السياسي للعثمانيين منذ إحتلالها سنة 1830، إلا أن الجزائريين بقوا يشعرون ببعض الولاء الروحي ويحسون بالروابط الدينية التي بقيت تربطهم بعاصمة الخلافة²، وتبعاً لذلك فقد أحس الجزائريون كما المسلمون جميعاً بخيبة أمل كبيرة جراء العمل الذي أقدم عليه الكماليون، والذي وضع الشعوب الإسلامية في حيرة من أمرها نتيجة لزوال هذه المؤسسة التي كانت تمثل رمزا لوحدة المسلمين الدينية والسياسية³.

¹ ناصر بلحاج ، المرجع السابق، ص ص 149-150.

² أحمد صاري : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، دط، غرداية الجزائر، 2004، ص 64.

³ رابح بن سليمان، المرجع السابق، ص 94.

وأما عن المواقف العامة من إلغاء الخلافة، فنجد أن النخبة الجزائرية التي أعجبت بانتصارات مصطفى كمال ضد الحلفاء، بدأت تبدي تخوفها من سياسته الجديدة التي بدأ ينتهجها قبل إلغاء الخلافة، والتي ظهرت منذ سنة 1922 بفصل السلطنة عن الخلافة، وقد عبر عن هذا الموقف عبد الحميد ابن باديس في مقاله " الفاجعة الكبرى " حيث يقول : >> كنا نغض الطرف عن شرورهم ومفاسدهم ساكتين عن ذكر مقابحهم، إبقاء على الوحدة الإسلامية التي إتجهت نحوهم، لما لشعث المسلمين حول سدة خليفتهم، تأييدا للأمة التركية، خادمة الملة التابعة لهم و إرغاما لأعداء المسلمين بهم <<¹ ومثلما نلاحظ فقد حمل ابن باديس الكماليون جناية تفكيك أوامر وحدة المسلمين، وإستنكر عليهم إلغاء الخلافة فقد حملهم أربع جنایات جنوها بفعلتهم تلك : >> الجناية الأولى : على الخلافة نقطة الإتصال لقلوب الملايين من المسلمين، وعرقا حساسا منهم وعاملا قويا لتحريك عواطفهم، ولا سيما في هاته الأيام التي أخذ المسلمون فيها يعملون على النهوض بأنفسهم . الجناية الثانية : على الخليفة هذا الخليفة معروف عند العارفين من الشرقيين والغربيين بموالاته للكماليين قبل بيعته وموافقته لهم بعدها، ولذلك إنتخبوه بإختيارهم دون سواه، وبايعوه ثم نكثوا عهده ونقضوا بيعته، ولم يكتفوا بذلك حتى شردوه وتركوه، وهو الشخص الذي يحمل عنوان "خليفة الإسلام"، ملقى على أعتاب الأوربيين، فيا لشماتة الأعداء (...) الجناية الثالثة : على عائلة آل عثمان (...) الجناية الرابعة : على الدين الإسلامي <<². وبعد أن يقف ابن باديس على ما قام به الكماليون، يصرح عن موقفه من الخلافة فيقول : >> قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي، والمعنى الصوري فلنعلم أنه لا خلافة بعد اليوم، ولنرفض كل خليفة تشتم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان، ولتعلم كل أمة مسلمة على النهوض بنفسها إزاء التعارف والتعاقد على الحق مع إخوانها حسب الإمكان، ولا يكون ما وقع مضعفا لعزائمنا مثبطا لأعمالنا، ما دام الإسلام ديننا وهو الرابطة العظمى التي

¹ عبد الحميد بن باديس، الفاجعة الكبرى، النجاح، العدد 152، 1924/03/28، نقلا عن محمد ناصر، المقالة

الصحفية...، ص ص 180 - 181.

² نفسه .

تربطنا، والجامعة الكبرى التي تجمعنا >>¹. والمتمعن في كلام ابن باديس يدرك أنه يرفض كل خليفة ينصب بإيعاز من المستعمرين الأجانب، وهو يعتقد أن نهاية الخلافة ليس معناه قطع الصلات بين المسلمين، لأن هناك ما هو أقوى من هذه الرابطة، وهي رابطة الإسلام التي توحد المسلمين وتجعلهم قوة واحدة في وجه الأخطار المحدقة بهم، وبالتالي فإن الجامعة الإسلامية التي توحد المسلمين عند ابن باديس في هذه الفترة ليست تلك الوحدة التي تكون تحت راية الخلافة، لأن هذه الهيئة قد أصبحت بالنسبة له مهادنة للتأثيرات الأجنبية .

وبالإضافة إلى ذلك لم تقف النخبة الجزائرية من القضية إلى هذا الحد، بل راحت تواكب تطورات المشكل وتراقب عن قرب تحركات الدول الإسلامية في معالجة قضية الخلافة، فتابعت المؤتمرات الإسلامية التي عقدت لأجل إعادة إحياء الخلافة الإسلامية، ولما عقد المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر عام 1926، رحب مبارك الميلي² بالمؤتمرين وإعتبرهم أعظم رجال الديانة الإسلامية وأشدهم غيرة عليها، فهو أول مؤتمر من نوعه وغايته بالنسبة له، كما أنه سيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في حياة الإسلام وبعث ما تعطل من أحكامه >> فالأمة التي تشارك فيه سيحفظ لها التاريخ ذكرا جميلا، وأثرا حسنا علاوة على كون حضوره دليلا واقعا على تمسكها بدينها، وعدم إنسلاها من جامعته، والأمة التي تعرض عنه ولا تلبى الداعي إليه ولا يحملها شعورها على النفير لهذا الأمر الهام ستجبر التاريخ على أن يتخذ لها بين دفتيه مكانا فسيحا تملؤه خزيا لنفسها وعارا وشنارا، بعدما تقيم الحجة على نفسها بفقد شعورها بدينها، وإنما لم تبق مسلمة إلا عند علماء الجغرافية السابقين >>³. وقد تمنى

¹ عبد الحميد بن باديس، الفاجعة الكبرى، النجاح، العدد 152، 1924/03/28، نقلا عن محمد ناصر، المقالة الصحفية...، ص ص 180 - 181.

² مبارك الميلي : من مواليد سنة 1897 بالميلية، تلقى تعليمه الأولي بمدينة ميله قرب قسنطينة، ثم إنتقل إلى قسنطينة لمتابعة الدراسة في حلقات ابن باديس العلمية ومنها رحل إلى جامع الزيتونة لإكمال دراسته بها، وبعد عودته باشر في العمل معلما ومربيا في جوامع قسنطينة والأغواط التي تحول فيها إلى مصدر إشعاع ديني وثقافي، شارك في تأسيس ج الع م ج حيث كان أمين ماليتها منذ سنة 1931. للمزيد أنظر : عبد الكريم بو الصصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها...، ص ص 81 - 85.

³ مبارك بن محمد الميلي : " المؤتمر الإسلامي العام للخلافة "، جريدة الشهاب، ج 23، مج1، الخميس 22 أفريل 1926، ص5.

الكاتب أن تكون الأمة الجزائرية من القسم الأول، لهذا وجه ندائه للعلماء لتأسيس جمعية لتشارك في المؤتمر، وطلب من فرنسا أن يتسع صدرها للإعتراف بمهمة الوفد الجزائري الذي سيتوجه للمشاركة فيه.

كما واکب فريق الشهاب تطورات مسألة الخلافة أثناء إنعقاد مؤتمر مكة (7 جوان - 5 جويلية 1926) ومؤتمر الجامعة الإسلامية بالقدس (8 - 17 ديسمبر 1931)، وقد علق المصلحين بالجزائر آمال كبيرة على هذين المؤتمرين، فأشادوا بهما وطرحوا غايتهما أملا في خروج المؤتمرين بنتائج تكون لصالح الجامع الإسلامية، لكن إخفاق هذه المؤتمرات في البحث عن حل للخلافة الإسلامية أحدث خيبة أمل بالنسبة للأوساط الإصلاحية بالجزائر¹، فرغم ترحيبها بالإلتزام الذي حصل بين كبار زعماء العالم الإسلامي إلا أن عجزها عن إدراك المشكل الحقيقي، جعل المصلحين ييأسون من هذه المؤتمرات التي أصبحت غير قادرة عن إنقاذ الخلافة العثمانية رمز وحدة المسلمين.

ومن خلال ماسبق نخلص للقول بأن الحرب العثمانية الإيطالية في ليبيا مثلت أبرز الأحداث التي جسدت بالفعل مبادئ الجامعة الإسلامية² في الجزائر، لأنها حملت الجزائريين على تطبيق ما جاءت به فكرتها على أرض الواقع من خلال تدعيمهم لإخوانهم الليبيين معنويا وماديا، وبهذا إستطاع الشعب الجزائري التعبير عن نفسه علانية للحماس الذي يكنه لفكرة الجامعة الإسلامية، فإنتصر بذلك على السلطات الفرنسية التي حاولت بكل الطرق التصدي لدعايتها لكي لا تصل إلى الجزائر، وهذا ما سنبرزه في العنصر الأخير من هذه الدراسة.

ثانيا : رد فعل السلطات الفرنسية على دعاية الجامعة الإسلامية بالجزائر
إتخذ رد الفعل الفرنسي على دعاية الجامعة الإسلامية عدة أشكال منها منع الصحف المشرقية من الدخول إلى الجزائر، فقد أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا وزاريا في 30 جويلية 1900 يقضي بمنع تداول جريدة المؤيد، وكانت قد أصدرت قانونا قبل هذا يمنع دخول الجرائد المشرقية منعا باتا، فقد إعتبرتها من المواد الممنوعة

¹ علي مراد، المرجع السابق، ص449.

² أنظر الملحق رقم : (5).

التي يحرم تداولها، إذ أدركت فرنسا ما لهذه الصحف من أثار في الدعاية لصالح الجامعة الإسلامية لهذا راحت تقيم السدود وتضرب الحواجز حولها حتى لا تتسرب هذه الجرائد إلى الجزائر، ولهذا إتخذت إحتياطات مشددة وإستصدرت قوانين صارمة لتحذ من دخولها¹، كما منعت دخول جريدة اللواء في أوت 1902، ومع إقتراب الحرب العالمية الكبرى أصبحت السلطات الإستعمارية أكثر يقظة وأشد رقابة فإتخذت ذلك القرار أيضا ضد خمس جرائد عربية فقد منعت تداول جريدة الشعب المصرية، المشكاة والقبس الدمشقية، الرأي العام من بيروت والحق يعلو من الأستانة كما بقيت على نفس هذا الموقف من هذه الجرائد حتى بعد الحرب العالمية².

ولعل هذا هو عين ما أشار إليه محمد فريد بك³ إبان زيارته⁴ إلى الجزائر في سنة 1902، إذ لا حظ في كتابه (من مصر إلى مصر) الذي أودعه إنطباعته المختلفة عن هذه الزيارة أن الصحافة المصرية نادرة الوجود في الأسواق الجزائرية، إن لم تكن معدومة تماما بسبب سياسة الكبت التي تمارسها السلطة، قائلا بهذا الخصوص : >> لم أجد في جميع مدينة الجزائر نسخة من اللواء ولا من المؤيد، مع أن المشتركين فيها كثيرون، ولا تصل هذه الجرائد إلا لإدارة المبرش مبادلة، وهناك تحفظ في حرز مكين حتى لا تخرج بعض أعدادها من الإدارة، فتصل أخبار الإسلام والمسلمين إلى إخوانهم الجزائريين <<⁵.

¹ محمد ناصر، المقالة الصحفية... ، ص 58.

² خير عبد النور، المرجع السابق، ص 106.

³ محمد فريد : من مواليد 1868 في القاهرة، وهو محمد فريد بك بن أحمد باشا التركي الأصل، كان مع مصطفى كامل في العديد من رحلاته إلى أوربا ولما توفي مصطفى كامل أنتخب رئيسا للحزب الوطني عام 1908، ساهج سياحات كثيرة مدافعا عن قضية مصر، من آثاره كتاب " الدولة العلية "، توفي عام 1919. أنظر : الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص ص 328 - 329 .

⁴ أردت الإشارة إلى هذه الزيارة مع زيارة محمد عبده للجزائر لكن المراجع المتوفرة لحد الآن لم تقدم شيئا عنها، إذ إكتفى تركي رابح في كتابه عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر مثلا بذكر أنها كانت بغرض السياحة، لكن المؤكد أنها تحتوي على أغراض أخرى غير معلنة خاصة وأن محمد فريد من المتأثرين كثيرا بفكرة الجامعة الإسلامية .

⁵ محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 173.

كما عمل الفرنسيون على وقف الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي إذ إتخذت السلطات الفرنسية عدة تدابير لهدف إخماد حركة الهجرة بصفة نهائية، وكمثال على ذلك قررت في سنة 1898 تسليط عقوبات مختلفة على الجزائريين الذين يغادرون إقامتهم بدون إذن منها، كما أقرت التعرض لهم بالسجن لمدة تتراوح ما بين 6 أشهر وعام كامل للمهاجرين¹، وطبقا لذات القرار تمكنت الإدارة الفرنسية من إلقاء القبض على 37 مهاجر من عين تغروت في سنة 1910، كما ضاعفت إدارة الإحتلال مجهوداتها في تونس لقمع وإعتقال الجزائريين الذين تلقي القبض عليهم وليس لديهم ثبوتات وشواهد تبرر إقامتهم، إذ كانت السلطات الإستعمارية الفرنسية على علم بأن المهاجرين الجزائريين يغادرون الجزائر إلى الولايات العثمانية عن طريق تونس، وبعد صدمة الهجرة الجماعية لسنة 1911 أمرت السلطات الفرنسية بوقف الهجرة وغلق الحدود².

كما تفتنت سلطات الإحتلال للدور الذي لعبته رسائل المهاجرين في الدعاية للجامعة الإسلامية فعمدت إلى مصادرتها وراقبت كل من الباعث والمبعوث إليه، فالأول كانت القنصلية في الخارج مكلفة بمراقبته، أما الثاني فأخضعته بالطبع إلى المراقبة المباشرة، ومن ثم إحتفظ الأرشيف الفرنسي بعشرات الرسائل والتقارير التي ساعدت في تحليل ظاهرة الهجرة إلى المشرق العربي، وقد حصرت التقارير الفرنسية أسباب الهجرة في التأثيرات الخارجية منددا بنشاط الجامعة الإسلامية الذي إعتبرته السبب في تهجير الجزائريين نحو الولايات العثمانية³.

وفي سنة 1906 قامت الإدارة الفرنسية بإعتقال وطرد جماعة كانت تدعو للجامعة الإسلامية في الجزائر، فلقد إعتقلت وفدا قبرصيا يضم ثمانية عشر رجلا وإمرأة بتهمة نشر دعاية الجامعة الإسلامية ضد فرنسا، وقد كان الوفد المذكور ينتقل عبر أقصى الجنوب الجزائري بدعوى شراء الإبل، لكن أولئك الدعاة الشرقيين كانوا يبشرون في كل مكان بفكرة إقتراب حكم سلطان أسطنبول، وقد إستجوبت السلطات

¹ عمار هلال، المرجع السابق، ص76.

² نفسه، ص ص 76 - 112.

³ نفسه، ص ص 27 - 219.

الفرنسية أعضاء الوفد وإحتفظت بمحضر الإستجواب غامضا ثم أجبرتهم على مغادرة البلاد¹.

وفي نفس السنة حاول منشور جوناو أن يضع حدا لنشاطات الجامعة الإسلامية فمنح كامل الصلاحيات للرسميين الفرنسيين لإتخاذ الإجراءات المناسبة ضد دعايتها² ، فقد أمر جوناو ولاية الولايات الثلاث بغلق مقاهي الجزائريين المشبوهين، وأن يمنعوا المهرجانات في المناطق المشكوك فيها، وأن يسحبوا رخص حمل السلاح، ويسجنوا كل جزائري مشبوه فيه، كما قضى ذات القرار في سنة 1908 بمنع الجزائريين من الحج للبقاع المقدسة بحجة إنتشار مرض الطاعون من تلك البقاع، ولكن الواقع أن فرنسا خشيت من تأثر الجزائريين بأحداث المشرق العربي، فأصدرت هذا القرار لتحول دون وصول أخبار الثورة التركية إلى الجزائر³. وفي ذات الفترة دعى أحد الكتاب الفرنسيين إلى تشجيع اللهجة البربرية قصد تمزيق وحدة السكان حتى لا يتأثروا بأفكار الجامع الإسلامية، كما قامت فرنسا بالتضييق على الجزائريين خلال هذه المدة، فبدلا من النظر إلى مطالبهم في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ولمطامحهم القومية الإسلامية، لجأت لسياسة الزجر والردع والقهر والسجن⁴ وأخضعتهم لقانون خاص عرف بقانون الأهالي code de l'indigénat⁵، فمنعت السكان من ممارسة الحريات العامة، مثل حرية

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 113.

² نفسه، ص 117.

³ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

⁴ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...، 45 - 47 .

⁵ قانون الأهالي : وهو مجموعة من النصوص القانونية الاستثنائية والإجراءات القمعية، التي بدأ فرضها على الشعب الجزائري بعد فشل ثورة 1871 بهدف إحكام القبضة على الجزائريين، وقد تم التمهيد لها بمرسوم 29 أوت 1874 القاضي بمنح ولاية العمالات الثلاث صلاحيات عقابية إستثنائية، ثم أصدرها البرلمان الفرنسي في 28 جوان 1881 في شكل قانون رسمي تدعم مرارا وظل يتجدد ويمدد حتى العام 1944، فقد تضمن في سنة 1904 م 23 مخالفة لا يعاقب عليها القضاء العادي ولا تنطبق إلا على الجزائريين. أنظر : بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 85.

الكتابة وحرية الإجتماع، بل حرية السفر والانتقال وحرية مطالعة الكتب والجرائد¹ وكل ذلك إلا بإذن خاص من الإدارة الفرنسية التي منعتهم من ذلك لكي لا يتأثروا بدعاية الجامعة الإسلامية، فقد عمدت السلطات الفرنسية لعزل الشعب الجزائري عن العالم الخارجي حتى لا يتعرف على الأفكار السائدة في العالم الإسلامي. ولكي تقاوم الدعاية العثمانية - الألمانية المعادية لها في الجزائر، طورت فرنسا تكتيكها الخاص في الدعاية فالسلطان العثماني كان ينعى للجزائريين بأنه دمية في الأيدي الألمانية، وكانت تركيا تنعت لهم بعدوة الإسلام والعرب، وكان القيصر الألماني ينعى بسخرية بإسم الحاج وليام، أما ألمانيا فقد كانت توصف بالبربرية وبأنها عدو للحضارة والإنسانية².

وفي مجال الدعاية الصحفية كانت صحيفتا المبشر³ والأخبار⁴ الصادرتان عن الإدارة الفرنسية قد ضاعفتا دعايتهما واصفيتين فرنسا بأنها دولة إسلامية، كما أصدرت سنة 1913 جريدة تشير إلى برنامجها تحمل عنوان " فرنسا الإسلامية " ⁵ لمقاومة دعاية الجامعة الإسلامية، كذلك أصدرت جريدة " أخبار الحرب " ⁶ في سنة 1914

¹ عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها...، ص 46.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص 248.

³ صحيفة المبشر : صدرت بالعاصمة في 15 سبتمبر 1847، وهي أول جريدة عربية في المغرب العربي وثالث جريدة في العالم كله، أمر بإنشاءها الملك لوي فليب ملك فرنسا الذي غزا الجزائر، كان محتواها ضعيفا وركزت في مقصدها على غزو نفوس الجزائريين بعد غزو بلدهم، توقفت عن الصدور في 1926. للمزيد أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 19-21.

⁴ صحيفة الأخبار : أصدرتها الولاية الفرنسية العامة في سنة 1839 تحت إشراف فيكتو باروكان Barrucand وإيزابيل ايبهرارت Eberhart، كانت تصدر باللغة الفرنسية ثم أضيف لها صفحات باللغة العربية للتقرب من الرأي الإسلامي العام، كانت تدعو لإعطاء الحقوق للجزائريين لكن مع المحافظة على الإمتياز الفرنسي، توقفت عن الصدور في 1924. أنظر : نفسه، ص 27.

⁵ تشير العديد من الدراسات على إنشاءها لكن وفي حدود المراجع التي إطلعنا عليها، لم نجد لهذه الجريدة تعريفها أو الدور الذي قامت به في مقاومة الدعاية العثمانية - الألمانية .

⁶ أخبار الحرب : أنشئت عند نشوب الحرب العالمية الأولى، وهي جريدة خاصة بأخبار الحرب والتطورات العالمية، ركزت في محتواها على إظهار عظمة فرنسا وغلبتها إحياء وتأثيرا في المسلمين الجزائريين الذين كان هوى أغلبهم مع الأتراك، إنتهت مهمتها بإنهاء الحرب. أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 42 - 43.

لمقاومة دعاية العدو المضادة لفرنسا¹.

وبمجرد إندلاع الحرب وقصف الغواصتين الألمانية للسواحل الجزائرية في أوت 1914، وجه الحاكم العام الفرنسي على الجزائر بيانين أحدهما وجه للكلون والآخر إلى الجزائريين، وقد دعى البيان الثاني إلى الذود عن حمى فرنسا وطنهم الأم، ونصحهم ألا يستجيبوا لدعاية الألمان المخادعين على حد تعبيره²، وبعد دخول الدولة العثمانية إلى الحرب وإعلانها الجهاد ضد الإستعمار، نشرت الدعاية الفرنسية أن هذا الإعلان كان خدعة للمسلمين، حيث ألقى الحاكم العام خطبة وجهها إلى الجزائريين قال فيها : >> إن فحا قد نصب للإسلام، ولكنكم ستكتشفونه بنظرتكم البعيدة وبولائكم المعتاد، وأنكم سوف لا تخذعون بهذه المناورات الألمانية، وإنكم سوف تضربون عرض الحائط بالإستفزات النفاقية لألمانيا والدولة العثمانية، التي تريد أن تستغل عواطفكم الدينية <<³ ومثلما نلاحظ فقد إستكرت فرنسا موقف ألمانيا والدولة العثمانية لإستغلال العواطف الدينية في إثارة الجزائريين ضدها، ولكن الحاكم العام الذي كان يمثل أعلى سلطة فرنسية في الجزائر كان هو نفسه يستغل ذلك، فقد وصف ما قامت به ألمانيا أثناء قصفها للسواحل الجزائرية بأنه ضربة ضد الإسلام، كما أعلن في بياناته للجزائريين أن تركيا لم تعد قادرة على حماية الإسلام لأنها أصبحت تحت سلطة الألمان، و أن فرنسا تكره القيصر وأن ألمانيا أيضا لا تقدر على حماية الإسلام⁴، كما كانت الدعاية الفرنسية تصور فرنسا على أنها دولة قوية ليس في إستطاعة لا ألمانيا ولا الدولة العثمانية أن تهزمها، كذلك صورتها على أنها دولة إسلامية تعنى بالدرجة الأولى بشؤون الإسلام والعالم الإسلامي⁵.

ولقد أدركت فرنسا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه رفع شعار الإسلام في هذه الحرب لمواجهة الدعاية العثمانية التي رفعت لواء الجهاد في سبيل الله، ولذلك إستعانة فرنسا بالأئمة الرسميون الموالين لها لينشروا بين الجزائريين أن فرنسا هي المظلومة

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص248.

² ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 151.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص249.

⁴ نفسه، ص250.

⁵ نفسه، ص248.

في القضية وأن ألمانيا هي الظالمة، وإستعملوا في ذلك الوعظ في المساجد لاسيما خطبة الجمعة، حيث كانوا يدعون لفرنسا بالنصر على الألمان وقوات المحور بما فيهم العثمانيين إخوانهم في الدين¹، ومثال ذلك ما جاء في خطبة الجمعة للإمام لفقون زواوي بن محمد الصالح إمام المسجد الكبير بقسنطينة في بداية ديسمبر 1914 : >> إننا نحن المسلمون متحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا (...) فلنبقى موالين لها، ولننضم إلى صفوفها فإما أن ننتصر أو نموت، لنرفع أيدينا إلى السماء وندعو الله لينصر بلادنا الأم فرنسا، وأن يحطم الأعداء ويحفظ الحكومة الفرنسية <<². وبالإضافة إلى ذلك فإن فرنسا لم تأذن للجزائريين خلال سنة 1915 أن يقوموا بحجهم السنوي إلى مكة، خوفا من تأثير دعاية الجامعة الإسلامية والدعاية المضادة للفرنسيين عليهم، ولم تسمح لهم بذلك إلا سنة 1916 لأن الثورة العربية قد طردت الدعاة الألمان والأتراك من مكة، ورغم ذلك خطب الحاكم العام أمام بعثة الحجاج المتجهة إلى مكة في تلك السنة قائلاً أن فرنسا مدينة بإنتصارها إليهم، لأنهم لم ينصتوا إلى النداء الألماني بخيانتها كما أنذرهم ضد عملاء العدو وأكاذيبهم ونصحهم بأنهم إذا ما لاقوا هؤلاء العملاء فليكن جوابهم " لتحيا فرنسا " التي أصبحت بلادنا الخالدة التي لا تقهر³.

وبالإضافة إلى ذلك أيضا فإن حملة الدعاية الفرنسية المضادة لدعاية الجامعة الإسلامية إمتدت إلى المشرق أيضا، فقد بذل الفرنسيون جهودا كبيرة لجذب المهاجرين الجزائريين لجانبهم ولهذا وعدوهم بالمعونات والأوسمة والمعاملة الحسنة، ونظرا لسمعة وتأثير عائلة الأمير عبد القادر على الجزائريين فقد كانت هدفا للدعاية الفرنسية التي سعت لإستمالتها، وتماشيا مع ذلك إستدعت فرنسا عام 1911 الأمير عمر بن الأمير عبد القادر إلى باريس لإستلام وسام ليجون دونور⁴، وقد أعدت لذلك كل وسائل الإعلام فقد سخرت دعايتها لتظهر أن المهاجرين الجزائريين لم يكونوا ضد فرنسا، كما

¹ ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 151.

² نفسه، ص 152.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية...، ص 255.

⁴ نفسه، ص 127.

نشرت الصحف الفرنسية خبراً للأمير عمر يشرح فيه للحكومة الفرنسية الوضع المؤلم الذي كان يعيش فيه المهاجرون الجزائريون في سوريا، وقد قامت بذلك لتوطد علاقاتها بأبناء الأمير حتى تستفيد من نفوذهم وتوظفهم لخدمة مصالحها وتدعيم مكانتها سواء في الجزائر، أو في سوريا بين المهاجرين الجزائريين¹.

وبعد إعلان الدولة العثمانية الجهاد ضد فرنسا وإنجلترا الإستعمارييتين أيد المصلحون هذا الإعلان فخشيت الإدارة الفرنسية من عاقبة ذلك، فعمدت إلى إضطهادهم²، لإيمانهم بالجامعة الإسلامية ولمناصرتهم للدولة العثمانية، حيث أوقفت عمر بن قنور وقادته راجلاً من العاصمة إلى الأغواط ثم إلى عين ماضي حيث بقي منفياً إلى نهاية الحرب، أما عمر راسم فقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن بريده إلى جريدة الشعب المصرية قد سقط في أيدي المخابرات الإنكليزية، وكان عبارة عن رسالة بتوقعات عديد من الجزائريين لنشرها، وهي رسالة تدعو المسلمين إلى الإقتداء بالسلطان العثماني خليفة المسلمين والتوقف عن مساعدة أعداء المسلمين وبعد تبادل الوثيقة بين الحليفتين فرنسا و بريطانيا وجهت هذه الأخيرة تهمة لعمر راسم على أنه محرر تلك الرسالة و زجت به في السجن يوم 13 أوت 1915 ثم حكمت عليه بالأعمال الشاقة المؤبدة في نوفمبر 1915 ولم تفرج عنه إلا سنة 1921³.

وقد عرفت نفس الفترة (1913 - 1915) إقدام السلطات الفرنسية على قتل عدد من المصلحين الجزائريين - على ما ترجمه بعض المصادر - حيث عملت على وضع حد لنشاطهم المؤيد للجامعة الإسلامية⁴، والمضاد لسياسة فرنسا في الجزائر، فقد ذكر محمد علي دبوز عند تطرقه لوفاة الشيخ عبد القادر المجاوي، بأن فرنسا أقدمت على إغتيال عدد من المصلحين خوفاً من إقدامهم على تحريض الجزائريين على الثورة ضد فرنسا، فقال نقلاً عن تلميذه إبراهيم أطفيش : >> زار الشيخ مدينة قسنطينة في

¹ التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص 245 .

² ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 139.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، ص ص 279 - 287 .

⁴ من بين ما قام به هؤلاء إمتناع الشيخ عبد الحليم بن سماية على الفتوى بجواز محاربة الجزائريين للدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وقال للجزائريين " لا يجوز محاربة العثمانيين فهم دولتنا ". أنظر : تركي رابح، المرجع السابق، ص ص 135.

آخر سنة 1913 وكانت فرنسا قلقة بالنهضة الحديثة التي بدأت في الجزائر، وبزعمائها وكانت تراهم ألد أعدائها، وكانت ترى في الأفق سواد الحرب العالمية الأولى التي ستخوضها، وكانت ثورة المقراني عليها في سنة 1871 لما إشتغلت بمحاربة الألمان لازالت جروحها تألمها، فخافت أن تشتغل بالحرب فيثور هؤلاء الزعماء عليها، ويضربوها من خلفها، ويورثوها الهزيمة، وتفلت الجزائر منها فعمدت في سنة 1913 إلى ثلاثة عشر عالما من أفذاذ الجزائر سممتهم فماتوا وكان منهم الشيخ عبد القادر المجاوي في قسنطينة، سمته فرنسا في قهوة، شربها فصار يتوجع إلى أن لفظ أنفاسه، فكتب الله له الشهادة، وآخر من أودى بهم الإستعمار الشيخ إطفيش القطب، فهو عند الشيخ إبراهيم إطفيش تلميذه لم يمت مودة طبيعية بل سمه الإستعمار فإستشهد <1>.

هذا و شنت فرنسا حملة لغلق الصحف الوطنية فسارعت لغلق جريدة ذو الفقار فكتمت أنفاسها في 1914 بعد صدور العدد الرابع منها، كما منعت جريدة الفاروق عن الصدور في 1915 إثر مقال كتبه عمر بن قذور ينتصر فيه للعثمانيين، وقد حذره الإستعمار من نشره ولكنه أبى أن يكون قلمه أجيرا للسلطة الفرنسية فتحدى الإدارة ونشره فأقدمت على منع جريدته وقادته إلى السجن كما ذكرنا ²، كذلك إتهمت النخبة المتفرنسة بإنتمائها لتيار الجامعة الإسلامية، لأنها أسمت صحيفتها بجريدة " الإسلام " ³ رغم أنها لم تطرح أبدا قضايا الجزائريين على أساس الدين ⁴، وهو السبب الذي عجل بتعطيلها على ما يبدو ⁵.

¹ محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص ص 104 - 105.

² محمد ناصر، الصحف العربية ...، ص ص 37 - 42.

³ الإسلام : جريدة أسبوعية أصدرها الصادق دندان في أكتوبر 1910، كانت في أول أمرها محررة باللغة الفرنسية ثم أصدرت نسخة أخرى منها بالعربية ابتداء من 26 جويلية 1912، ركزت أهدافها على إطلاع الجزائريين على ما تنشره الصحافة الفرنسية فيما يتعلق بقضاياهم السياسية والاقتصادية، توقفت النشرة العربية في 1913 بينما إستمرت النشرة الفرنسية حتى نوفمبر 1914 حين توقفت بسبب الح ع ¹. أنظر : محمد ناصر، الصحف العربية...، ص ص 35 - 36.

⁴ أنظر الملحق رقم : (3).

⁵ NUMA - LEAL : "Panislamisme"، L' ISLAM، N° 156، 1912، P1.

كما تعرضت الإدارة الفرنسية الإستعمارية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ 1933، فدخلت معها في حرب شعواء لأن مدارس الجمعية تمثل بالنسبة لفرنسا خلايا سياسية تهدد أمن فرنسا الداخلي¹، والإسلام الذي يمارسه العلماء كان بالنسبة لها مدرسة حقيقية للنضال الوطني، الذي يمثل إحدى أهداف الجامعة الإسلامية، ولهذا تصدت فرنسا لنشاط جمعية العلماء² واتخذت في ذلك جملة من القرارات أهمها :

* منع العلماء من التدريس في مساجد تلمسان في فيفري 1933 .

* إصدار منشور ميشال Michel³ في 16 فيفري 1933 وهو تعليمات إدارية إلى مصالح الأمن بمراقبة نشاط العلماء ومنعهم من الوعظ والتدريس بالمساجد .

* إغلاق عدد من مدارس الجمعية في عدد من مدن عمالة وهران، وتغريم وسجن عدد من معلميهما في تلك السنة وفي السنوات التي تلتها⁴ .

* تعطيل جرائد السنة والصراط والشرعية، بمقتضى قرار وزير الخارجية الفرنسي شوطان CHautmps⁵ الصادر بتاريخ 23 ديسمبر 1933⁶ .

* إصدار مرسوم رينيه Regnier⁷ في 5 أفريل 1935 والذي قضى بالسجن ما بين شهرين وسنتين على كل من يقاوم السيادة الفرنسية في المستعمرات، ويقف ضد تطبيق القوانين والمراسيم والتنظيمات وتنفيذ أوامر السلطات⁸ .

¹ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، 225.

² تنص بعض الوثائق الرسمية السرية أن مراقبة نشاط جمعية العلماء قد بدأ من طرف عامل عمالة قسنطينة منذ شهر أوت 1932، ففي هذا الشهر تلقى هذا الأخير من الكاتب العام بيروتون رسالة حدد فيها مساهمة الجمعية بثلاث عوامل : أولها وطنية اللغة، وثانيها إتحاد إسلامي وأخوة بين كل المسلمين، وثالثها الوهابية الجديدة التي تبدو في ستار الرجوع إلى الصفاء العقدي، وبهذا فهي تحرض على كره الفرنسيين، وهكذا شرعت الإدارة منذ سنة 1932 في تتبع وعرقلة نشاطها، وأصدرت في السنة التالية قرارات تقضي بمتابعة العلماء كما ذكرنا على أساس أنهم يشكلون خطرا كبيرا على الوجود الفرنسي بالجزائر. للمزيد أنظر : عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها...، ص ص 154 - 156.

³ الكاتب العام لولاية الجزائر.

⁴ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، 225 - 226.

⁵ رئيس وزراء - ووزير داخلية فرنسا.

⁶ عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها...، ص ص 141 - 142.

⁷ وزير الداخلية الفرنسي.

⁸ بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 226.

وبالجملة فإن تصدي السلطات الفرنسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان وراء تخوفها من الدور الحاسم لهذه المنظمة، إذ أن عملها من أجل الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري المتمثلة أساسا في العربية والإسلام، ومساهمتها في تعزيز الانتماء العربي والإسلامي له، ونضالها المتواصل من أجل إيقاظ الحس الوطني وإضعاف الحكم الفرنسي في الجزائر، والعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية قولا وعملا، كله ينصب ضمن النضال العام في إطار الجامعة الإسلامية لهذا حاربت السلطة الفرنسية لأنه يهدد وجودها في الجزائر .

وفي آخر محطات هذه الدراسة نصل إلى أن تفاعل الجزائريين مع الأحداث التي تعرضت لها الدولة العثمانية، كان بحق يعبر عن تأثيره بما يحصل لها و لأقطارها فتضامن معها في إطار ما تنص عليه مبادئ الجامعة الإسلامية، وكذا فإن موقف الشعب الجزائري من هذه الأحداث لهو موقف يعبر عن عمق العلاقة الروحية والحضارية والمصيرية التي تربطه بالدولة العثمانية على وجه خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، فقد كان الجزائريون يرون في الانتصار على الإستعمار إنتصار للأمة الإسلامية جمعاء، وهذا ما كان يدركه الفرنسيون الذين حاولوا بشتى الأشكال عزل الجزائر عن بقية العالم الإسلامي حتى لا تولي وجهها شطر المشرق العربي وتتأثر بدعاية الجامعة الإسلامية، إلا أن محاولاته لم تفلح قط فقد زاد ذلك الضغط الجزائريين إحساسهم بالانتماء للعالم الإسلامي، ووجد ذلك الكبت الذي مارسه الإستعمار متنفسه في الشعر الشعبي... وغيره.

فصل في
الحج والعمرة

الختاتمة

من خلال دراستنا لموضوع صدى الجامعة الإسلامية بالجزائر فيما بين 1900 - 1935، أمكننا الوصول إلى العديد من الاستنتاجات، والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

أجمع دعاة حركة الجامعة الإسلامية، كل حسب تصوره ومنطلقاته، على ضرورة تجديد فهم الإسلام، لتقتهم الكاملة بقدرته على تمكين الأمة الإسلامية من تجاوز حالة التأخر والتخلف التي أصبحت تعيشها، كما سعوا إلى تفعيل مفهوم الأمة عند المسلمين وإصلاحها لمواجهة الأخطار المهددة لها.

ولم يكن لفكرة الجامعة الإسلامية تحديد واضح في المفهوم عند جل المتأثرين بها، سواء كان ذلك في المشرق العربي أو في الجزائر، حيث لم يكن للفكرة مفهوم عام ومتفق عليه من طرف الجميع، فكل متأثر بالفكرة كان له تصور خاص وفق منطلقاته الخاصة، وهي إشكالية منهجية صادفناها في التعامل مع المادة العلمية، كما تعذر علينا تحديد وضبط المفهوم الشامل لها، وهو حتما ما جعل السلطات الفرنسية في الجزائر في ريبة من أمرها إذ لم تستطع أن تميز بين المؤمنين بها من غيرهم، فجاء رد فعلها أحيانا كثيرة عشوائيا وشمل كل الجزائريين.

إن الجزائر بالرغم مما كانت تتعرض له من محن وتحديات ناتجة عن الإستعمار الذي فرض عليها نوعا من العزلة والحصار، فإن ذلك لم يمنعها من التواصل مع المشرق العربي، الذي تمكنت من الإطلاع على تطورات إنطلاقا من توافد الصحافة المشرقية التي كانت تقوم بنقل الأفكار وسرد الأخبار، مما أدى إلى تفاعل فئة من الجزائريين مع فكرة الجامعة الإسلامية التي تأثروا بها، بالإضافة إلى موجات الهجرة إلى المشرق العربي التي ساهمت في ربط الجزائريين بالخلافة العثمانية، وكذا إطلاعهم على دعوة الجامعة الإسلامية. أما زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 فقد ساهمت في نشر دعوة رواد الجامعة الإسلامية في كل ربوعها، كما تركت وقعا هاما على دعاة الإصلاح الذين تأثروا كثيرا بفكرة الجامعة الإسلامية من خلالها.

يبدو من خلال ما درسنا، أن إطلاع المصلحين على الصحافة المشرقية قد كان له تأثير جوهري في بلورة آرائهم الإصلاحية، لأن تفاعلهم مع الأفكار التي تحتويها هي التي تحكمت فيما بعد في الكثير من معالم فكرهم ونظرتهم وتصورهم لمنهج الإصلاح، وهو العامل الذي أدى إلى تأثر هذه النخبة بفكرة الجامعة الإسلامية، ولم نشهد لها تأثيرا على باقي تيارات الحركة الوطنية.

إن تأثر المصلحين بفكرة الجامعة الإسلامية كان له تأثير إيجابي على المجتمع الجزائري، فقد أدى ذلك التأثير إلى إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ساهمت بنضالها في المحافظة على الهوية الإسلامية للشعب الجزائري، بتصديها لكل محاولات الإستعمار الفرنسي الرامية لمسح الشخصية الجزائرية من معالمها العربية والإسلامية.

وعلى الرغم من المعاناة المرتبطة بالاحتلال التي كان يعيشها الشعب الجزائري، فإنها لم تثته عن التفاعل مع الأحداث التي تعرضت لها الدولة العثمانية، فعبّر بحق عن تضامنه معها لإيمانه بأن التضامن الإسلامي يحتم نجدة المسلمين لبعضهم البعض، فسارع لتطبيق معاني الجامعة الإسلامية في أحداث طرابلس الغرب، كما ترجم تأييده للدولة العثمانية في الحرب العالمية من خلال الأدب الشعبي الذي سجل لنا مواقف ومشاعر الجزائريين تجاه العثمانيين الذين تمنوا إنتصارهم على فرنسا.

إن ما يؤكد أهمية الدولة العثمانية وقيمة مؤسسة الخلافة لدى الجزائريين، هو الولاء لها وتتبع تطوراتها والإنشغال بمصيرها، فكان هذا الولاء راجع لما تمثله من أهمية لديهم لمركزها الديني والسياسي، وهو السبب الذي جعلهم يستتكرون إلغاء مصطفى كمال للخلافة العثمانية سنة 1924، فاستهدف تجاوزه الخطير حملة تشنيع واسعة عبرت عن مدى الارتباط بوجودها.

لقد أنتجت الدعاية للجامعة الإسلامية وعيا كبيرا لدى الجزائريين على المستوى السياسي، فكانت من عوامل انتقال النضال في الجزائر من المقاومة المسلحة إلى

النضال السياسي، حيث أن الدعاية العثمانية - الألمانية، ورغم محدودية تأثيرها على الجزائريين، وعدم نجاحها في خلق ثورة جزائرية لصالح الجامعة الإسلامية إلا أنها نمت لدى الجزائريين فكرة الانتصار للخلافة العثمانية خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى.

إن أثر فكرة الجامعة الإسلامية لم يبد واضحاً في كتابات المصلحين بسبب تضيق الاستعمار الفرنسي على مثل هذه الأفكار، ولكنها بدت بشكل أوضح في برنامجهم الإصلاحي الذي حاولوا من خلاله تحقيق الوحدة الإسلامية والثورة على الجمود الفكري والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى.

وكما جاء في البحث، فإن دعوة الجامعة الإسلامية كانت معروفة في كامل الجزائر، فقد وصل صداها إلى مدن كثيرة، خصوصاً بعد الأحداث التي تعرض لها العالم الإسلامي كاحتلال تونس من طرف فرنسا وإندلاع الحرب الليبية - الإيطالية، فأوجدت هذه الظروف قابلية لدى الشعب الجزائري لاستيعاب أفكار الجامعة الإسلامية، التي تشبث بها لإيمانه بأن التضامن مع جميع المسلمين هو الكفيل بالانتصار على الاستعمار الذي يشكل لديهم أكبر أسباب التخلف وأول المعوقات التي تقف في وجه النهضة والوحدة الإسلامية.

نأمل أن يكون جهدنا الذي بذلناه قد ساهم في تسليط الضوء على جوانب لم تتل حظها من البحث والتمحيص بسبب نقص الوثائق التي تكشف عن حيثياته، مع العلم أنه مازالت العديد من النقاط في الموضوع تحتاج إلى التفصيل مثل الأغراض الحقيقية لزيارة محمد فريد للجزائر سنة 1902 وصدى أحداث البلقان 1912 - 1913، ما يفتح المجال أمام دارسين آخرين لإبرازها، كلما توفرت الوثائق التي تساهم في التعمق به، وعلى هذا الأساس نكون قد أضفنا دراسة جديدة لرصيد الدراسات القليلة في موضوع صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر.

مجلس
العلماء
بدمشق

الملحق رقم (1)

صورة الشيخ محمد عبده يوم أن زار الجزائر 1903



الشيخ عبد الحليم ابن سماية الجزائري جالسا
إلى جانبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يوم أن زار الجزائر سنة 1903م.

عبد الرحمان بن محمد الجبلاي، المرجع السابق، ص 274.

الملحق رقم (2)

حول وفاة رشيد رضا في جريدة الأمة¹

دع الفخر يدهكي شمعك ومنارده	ويطوقه بالدمع المدحوب خزانته
وتخل الذي في الدهر يتدب حظه	وعن العوالي عند موت امامها
وحل لسان الضاد في الخطب انه	ففس القوالي قد شهدنا غروبها
ففس القوالي قد شهدنا غروبها	وذو مقلة النصحي تدر دموعها
فهذا مصاب اطفال البشر وقعه	الا ايها الخطب الجليل الانجيل
ويندب حزنا ليله ومنارده	
نقد هب وبع الخطب يذكي اوارده	
يمزق بالرزء العظيم شوارده	
فقد فؤدت سيف الهدي وغارده	
جليل ودع يرث الامام ودارده	
وشهر المعالي قد بلغنا سراره	
تؤوب استاذ المعلى ونجارده	
وهو اساس الصبر فض جوارده	
نقد بات وادي النيل يكي منارده	

.....

رشيد رضا عمت بموتك دهشة	واضحى الاسى بالقلب يروقه ناره
اتقد كائن قلبي قبل موتك ثابتا	فاصبحت اخشى اليوم منه انفجاره
وجساشي طردا في العائب راسخا	فامسيت اخشى اليوم منه انفجاره
جفا الذوم اجفاني وجاشت مدامعي	وقد ليس الايل البيهم دناره

.....

لقد جيت افطار الشريعة باحدا	وغمت من العلم الشريف بحاره
فقطعت من تلك اللاآلي جبانكا	وصفت لزند الدين منها سواره
وقسرت دستور الاله وذكركه	واحصكت بالعلم الصحيح اطاره
وابرزته سفرا رفيعا منه قما	فكلك كصبح شفق عنه ازاره
فاظهرت الاولى يرومون طسه	بان اله المرض جلى نظاره
مددت طريقا للكارم واخصا	وسدت بتدوير عليه فطاره
واجريت منطادا من الفكر طائرا	وانبت في ام اللغات مطاره
واذكرت في الماضي (جمالا) (وعبد)	وتلك على رغم الزمانيات جواره
شربت من النهرين ما اذهب الظما	كما حزت من ذاك الجنان نماره
ها ممدنا علم وفعل وحكمة	حظيت به كثر فالتقت خباره

.....

رشيد رضا نم مستريحا فطالا	رفعت مجدك للذووض منارده
لئن مت فالوت الكريمة منها	وما زلت للجد الايل مداره
القرارة	(ابو الحسن)

¹ أبو الحسن : " رشيد رضا عمت بموتك دهشتي"، جريدة الأمة، العدد 62، 11/2/1936، ص3.

الملحق رقم (3)

حول رد فعل السلطات الفرنسية على إصدار جريدة "الإسلام"

Panislamisme ?

Et tenez, bonnes gens, je veux vous dire, pourquoi vous êtes de mauvaise foi lorsque, à propos de tout et de rien, vous agitez le spectre du panislamisme. Prenez la collection déjà imposante de ce journal, « *L'Islam* », et, en toute franchise, dites-moi si vous y avez déjà lu une profession de foi panislamiste, encore qu'il fût du droit strict d'un auteur d'exposer en toute sincérité son opinion ? « *L'Islam* » ! Ce titre, à lui seul, peut faire supposer que les rédacteurs de cet organe de défense se placent uniquement sur le terrain religieux. Et pourtant, jamais les auteurs indigènes ou français qui collaborent à l'œuvre entreprise par ce grand journal algérien n'ont traité les questions indigènes au point de vue religieux et de politique religieuse. Un modéré, M. Victor Barrucand, émettait récemment cette opinion dans l'« *Akabar* ».

Voulez-vous maintenant examiner le programme et les articles de « *La France Islamique* », que mon excellent ami Paul Bruzon et moi inspirons ! Vous y verrez que notre seul but est d'envisager les rapports nécessaires de la France et de l'Islam, car il existe un Islam français que nous avons le devoir de défendre. Et si vous lisez le « *Rachidi* », si vous lisez toutes les publications relatives aux choses musulmanes, en France et dans l'Afrique du Nord, vous ne manquerez pas d'observer que la religion musulmane y tient peu de place.

Panislamistes aussi, Pierre Loti et Claude Farrère ! Panislamistes, parce qu'ils ont, ces cœurs généreux, manifesté leurs sympathies à la Turquie envahie et mutilée ! Panislamistes, parce qu'ils ont voulu démontrer que, dans la guerre turco-balkanique, la France et surtout la presse française ont été injustes et mal inspirées ! Et quoi ! il n'est plus permis de protester contre la barbarie vulgaire qui menace Constantinople, contre les mercantis levantins à l'affût des dépouilles turques !

Vraiment, les Français islamophobes n'aiment guère ces deux fleurs françaises, la pitié et la générosité ! « En Orient, disait de Bismarck, il n'y a de « gentilshommes » que les Turcs ». Gentilshommes ! Vieux mot aimé qui signifie *les Français*. Et, entre gentilshommes, la sympathie est chose naturelle.

Mais les Arabophobes, à qui « la politique locale sert de paravent pour cacher leur œuvre de haine et de mauvaise foi », de même qu'ils injurient les Arabophiles, se soucient fort peu de la lamentable situation des Turcs. Pour eux, hommes aux calculs honteux, toute manifestation en faveur de la pauvre Turquie et des musulmans de tous pays est une manifestation panislamiste qu'il convient d'étouffer. Pour affoler l'opinion publique, ils disent sans cesse que « le panislamisme fait d'effrayants progrès », que « le panislamisme menace la domination française dans l'Afrique du Nord ». Et alors, sont suspects, sont dangereux tous ceux qui ne poursuivent pas l'extermination ou tout au moins l'amoindrissement politique et religieux de l'Islam !

MM. les Arabophobes, vous êtes si injustes, si violents, votre mauvaise foi et, — pour la plupart d'entre vous, — votre indignité sont telles, que, peu à peu, vous vous êtes entourés du mépris public. Vous pouvez nous accuser de panislamisme : vous ne trompez plus personne. Vos diatribes insensées, produits d'imaginaires fatiguées, ne nous effrayent pas. Poursuivez donc l'œuvre malsaine et autifrançaise que vous dicte votre phobie de l'Islam : vous périrez par vos propres armes, si toutefois sont des armes les pauvres raisonnements et les simples idées qui s'entrechoquent dans vos étroits cerveaux.

NUMA-LEAL

Docteur en Droit,

Avocat à la Cour d'appel de Paris.

P. S. — Sous le titre « Calom-

الملحق رقم (4)

حول معنى الجامعة الإسلامية في جريدة الحق الوهراني

الجامعة الإسلامية، الاتحاد الإسلامي، لحمّة الإنسانية الراقية، سمها أيها القارئ كما تشاء وتختار فهي معنى روحاني شريف يسري في النفوس الكبيرة والأرواح الطاهرة مجرى الكهرباء في الأسلاك، وما هذه المسميات إلا ظروف وكلمات تضرب المعنى الراقى إلى عقول من لم يدركوا لذتها الروحانية بعد، نعم إن هذه المسميات القديمة الحديثة ما كانت تذكر منذ حين إلا ويرمى الناطق بها أو الداعي إليها بالحمق والطيش بل بالخفة والجنون، وكان الجامدون من المدعين التفقه والعلم يستعيزون بالله من مجرد ذكر هذه الجمل التي كانت في عرفهم غولا رهيبا أو رمزا سحريا يثير أوربا (...)² وتنهش لحومنا وتلتهم ممالكنا، نعم لقد كان البعض حتى من المتعلمين يجزعون من مجرد مرور هذه الألفاظ بمخيلاتهم ولكن الأيام قد تغيرت والأوضاع قد تبدلت، وأصبح دعاة هذه الجامعة يشار إليهم بالبنان وينزلون مواضع التجلّة والإحترام ففهموا حقيقة الدين الحنيف وعرفوا لب هذه الجامعة فجاهدوا في سبيل الله غير خاشين في الحق لومة لأئم بنصرهم الله، وبدأت علائم فوزهم تلوح في الآفاق حتى باتت منهم قاب قوسين أو أدنى والله أسأل تحقيق الآمال في المستقبل القريب لأنها رحمة ببنى الإنسان ولحمّة الإنسانية الراقية، فأين منها رابطات الوطنية وأمشاج العنصرية وأين منها جامعة الأنجلوسكسون والألمان والسلافيين واللاتين بل أين منها دعاة مذهب (...)² أمريكا للأمريكان؟... كل هذه روابط وجامعات جزئية ترمي لمطامع شعبية، وترتكز على أسس واهية من إختلاف في اللون (...) والوطن والجنس ولكن هذه الروابط الإنسانية بل هذه الجامعة البشرية العامة لا حدود لها ولا تعرف بين جنس وآخر ولا بين لسان ولسان ولا بين لون وآخر، بل الجميع في نظرها سواء إخوان متساوون لا فرق بين أمير وفقير ولا بين الملوك والصعاليك إلا بالنفوس والتنافس في عمل الخيرات وأساسها إنما المؤمنون إخوة فهل أشرف من هذه غاية؟... وهل أرفع من

² الكلام المحذوف قد ورد في النص الأصلي لكن رداة الخط وقدم الصحيفة لم تمكنا من فهم بعض المصطلحات .

هذه جامعة ؟ اللهم كلا ثم كلا إلا أنه لأنصار الجامعة السابقة الذكر أن يعقدوا
المؤتمرات وينشؤوا الصحف والمجلات لنشر مبدئهم و تأييد مذهبهم³ .

³ الهلال : " الجامعة الإسلامية "، جريدة الحق الوهراني، العدد 42، 27 جويلية 1912، ص 1 .

الملحق رقم (5)

حول أثر الجامعة الإسلامية في الحرب العثمانية الإيطالية

فإنه من الواجب المحتم على عقلاء المسلمين في جميع أقطار العالم عقد المؤتمرات العديدة التي تكون فروعاً من المؤتمر العام (الحج) الذي وضع دعائمه المولى سبحانه وتعالى، وإنشاء الصحف والمجلات والمبشرين لهذه الغاية الشريفة عملاً بأوامر دينهم وأكثر المسلمين مسؤولية بالقيام بهذا الواجب المقدس هي دولة الخلافة يفيدها في دينها ودنياها، ألا ترى نتائج الحرب الطرابلسية وتأثير الجامعة الإسلامية فيها؟

ظنت دولة القرصان أنها يمكنها أن تظفر بالتهام طرابلس بكل سهولة توهما منها بأنها ستحارب الجيوش النظامية الموجودة بهذه الولاية وحدها، لكنها أبصرت كهرباء الجامعة الإسلامية وقد هزت أركان الصحراء وحركت قبائل طرابلس وأثارت عواطف المصريين والتونسيين، وسرت الهزة إلى الهند والصين (...) وفارس وروسيا وزنجبار فغضب المسلمون لدولة خلافتهم وهبوا يدافعون ببيئاتهم وبأموالهم فسرعان ما إرتدت إيطاليا الباغية على أعقابها وبقيت جنودها المجردة من الشجاعة والشهامة والرحمة والإنسانية محصورة بالشواطئ تحت حماية أسطولها، إن الدولة العثمانية ما كانت لترغم أنف عدوتها وتصون شرفها لولا همة ضباطها الفدائيين وأبطالها المجاهدين وإقدام الطرابلسيين وبسالة قبائل الصحراء وكرم المصريين والتونسيين فهل كانت تنال كل هذه النتائج الباهرة لولا فكرة الجامعة الإسلامية؟⁴ .

⁴ الهلال : " الجامعة الإسلامية "، جريدة الحق الوهراني، العدد 44، 11 أوت 1912، ص1.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1- الكتب :

1. الإبراهيمي أحمد طالب : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1997، ج1.
2. الإبراهيمي محمد البشير : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2009.
3. خسرو شاهي سيد هادي : الآثار الكاملة - 1 - العروة الوثقى، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة مصر، 2002.
4. دبوز محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، الطباعة الشعبية للجيش، دط، الجزائر، 2007، ج1، ج2.
5. رضا محمد رشيد : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1849-1905)، دار الفضيلة، ط 2، القاهرة مصر، 2006، ج1، ج2، ج3.
6. ستودارد لوثرروب: حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية عجاج نويهض، دار الفكر، ط3، بيروت لبنان، 1971، مج 1، ج1.
7. عبده محمد : الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، ط1، القاهرة مصر، 1993، ج1.
8. العقون عبد الرحمان بن إبراهيم : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى (1920 - 1936) ، منشورات السائحي، ط 3، الجزائر، 2010، ج1.
9. الكواكبي عبد الرحمان : طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ، تقديم أحمد السحمراني، دار النفائس، ط3، بيروت لبنان، 2006.
10. المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت لبنان، 1981.

11. المدني أحمد توفيق : **مذكرات حياة كفاح** ، دار البصائر ، دط، الجزائر ، 2009 ، ج1.

12. — ، — : **هذه هي الجزائر**، دار البصائر ، دط، الجزائر ، 2009.

13. مصطفى أحمد عبد الرحيم : **في أصول التاريخ العثماني** ، دار الشروق ، ط 2 ، القاهرة مصر ، 1986.

2. المقالات :

2-1 المقالات باللغة العربية :

1. ابن باديس عبد الحميد : " الجامعة الإسلامية " ، **مجلة الشهاب** ، ج7 ، مج6 ، أوت 1930.

2. أبو اليقظان إبراهيم : " الله أكبر مات رشيد رضا " ، **جريدة الأمة** ، العدد41 ، الثلاثاء 10 سبتمبر 1935.

3. — ، — : " إنما المؤمنون إخوة " ، **جريدة وادي ميزاب** ، العدد 116 ، الجمعة 11/01/1929.

4. رضا محمد رشيد : " فرنسا والجزائر " ، **مجلة المنار** ، العدد الثالث ، مج6 ، الأربعاء 3 ماي 1993.

5. — ، — : " قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام " ، **مجلة المنار** ، العدد 23 ، مج 6 ، الخميس 18 فيفري 1904.

6. مجهول؟ : " أنباء عالمية عن الحجاز " ، **جريدة الشهاب** ، ج26 ، مج1 ، 13 ماي 1926.

7. مجهول؟ : " رزء الإسلام وفاة مجتهد العصر الأستاذ رشيد رضا " ، **مجلة الشهاب** ، ج6 ، مج11 ، سبتمبر 1935.

8. الملي مبارك بن محمد : " المؤتمر الإسلامي العام للخلافة " ، **جريدة الشهاب** ، ج23 ، مج1 ، الخميس 22 أفريل 1926.

2-2 المقالات باللغة الفرنسية :

NUMA-LEAL : "Panislamisme"، **L' ISLAM**، N⁰ 156، 1912.

ثانيا : المراجع

1- الكتب :

1. آجيرون شارل روبير : الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 - 1919) ، ترجمة م .حاج مسعود وع . بلعربي، دار الرائد، دط، الجزائر، 2007، ج2.
2. أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت لبنان، دت.
3. أمين أحمد : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي، دط، بيروت لبنان، دت.
4. بلاح بشير وآخرون : تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1989) ، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2010.
5. بن رحال الزبير : الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889 - 1940)، دار الهدى، دط، عين مليلة الجزائر، دت.
6. بن نعمة عبد المجيد وآخرون : موسوعة أعلام الجزائر (1830 - 1954) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
7. بني المرجة موفق : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج للنشر، دط، الكويت، ماي 1984.
8. بو الصفصاف عبد الكريم : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 - 1935)، عالم المعرفة، دط، الجزائر، 2008.
9. — ، — : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 - 1945)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، الجزائر، 1996.
10. البوري عبد المنصف حافظ : الغزو الإيطالي دراسة في العلاقات الدولية ، الدار العربية للكتاب، دط، د م ن، 1983.
11. التبسي العربي : أشغال الملتقى الوطني الإصلاحي في الجزائر ، دار الهدى، دط، عين مليلة الجزائر، أفريل 2003 .

12. الجابري محمد الصالح : النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900- 1962)، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1983.
13. الجندي أنور : تاريخ الصحافة الإسلامية - 1- المنار محمد رشيد رضا ، دار الأنصار، دط، مصر، دت.
14. الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، دط، الجزائر، 2009، ج5.
15. حلاق حسان علي : دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908- 1909)، الدار الجامعية للنشر، دط، بيروت لبنان، دت.
16. خرفي صالح : الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، دت.
17. —، — : في رحاب المغرب العربي ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت لبنان، 1985.
18. الخطيب أحمد : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985.
19. خيثر عبد النور وآخرون : منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دط، الجزائر، 2007.
20. الذوادي رشيد : رواد الإصلاح، دار المغرب العربي، ط1، تونس، 1973.
21. رابح تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، منشورات ANEP، ط 5، الجزائر، 2001.
22. الركيبي عبد الله : قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر ، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر، 2009.
23. سعد الله أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1996، ج4.

24. —، — : الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1930)، دار الغرب الإسلامي، ط 4، بيروت لبنان، 1992، ج2.
25. —، — : بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 2003.
26. —، — : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت لبنان، 1998، ج5.
27. —، — : أفكار جامعة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 2005.
28. شترة خير الدين : إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900- 1939)، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
29. —، — : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900- 1956)، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ج3.
30. الشيخ رأفت : تاريخ العرب المعاصر ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دط، د م ن، 1996.
31. صاري أحمد : شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر ، المطبعة العربية، دط، غرداية الجزائر، 2004.
32. الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي ، موفم للنشر، ط 2، الجزائر، 2008، ج1، ج2.
33. الصلابي محمد علي : الحركة السنوسية في ليبيا ، دار البيارق، ط 1، بيروت لبنان، 1999، ج1.
34. طرشون نادية وآخرون : الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي - أثناء الإحتلال-، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
35. طهاري محمد : الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الأمة، دط، الجزائر، 2010.
36. العجيلي التليلي : صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي (1876 - 1918)، دار الجنوب، ط1، تونس، 2005.

37. العدوي إبراهيم أحمد : رشيد رضا الإمام المجاهد سلسلة أعلام العرب
-33-، المؤسسة المصرية العامة للنشر، دط، مصر، 2001.
38. عمارة محمد : الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل ، دار
الشروق، ط1، بيروت لبنان، 1994.
39. —، — : جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام ، دار
الشروق، دط، القاهرة مصر، دت.
40. —، — : عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، دار
الشروق، ط2، بيروت لبنان، 1988.
41. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي (1516 - 1966) ، دار
النهضة العربية، دط، بيروت لبنان، دت.
42. قنان جمال : التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار دراسات في التاريخ
المعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر،
2009، مج 6.
43. لونيسي رباح : التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف
(1920 - 1954) ، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2009.
44. المحافظة علي : الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-
1914) الإتجاهات الدينية والسياسية والإجتماعية والعلمية ، الأهلية للنشر، دط،
بيروت لبنان، 1987.
45. مراد علي : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني
والإجتماعي من 1925 إلى 1940) ، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة،
ط2، الجزائر، 1999.
46. المراكشي محمد صالح : تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار (1898
- 1935) ، الدار التونسية للنشر، دط، تونس، نوفمبر 1985.
47. مريوش أحمد : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، دار
هومه، دط، الجزائر، 2012.

48. مياي إبراهيم : مقاربات في تاريخ الجزائر (1830 - 1962) ، دار هومة، دط، الجزائر، 2007.
49. ناصر محمد : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1983.
50. —، — : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1980.
51. —، — : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1978، مج1.
52. هلال عمار : الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847 - 1918) ، دار هومه، دط، الجزائر، 2007.
53. ودوع محمد : الدعم الليبي للثورة التحريرية ، منشورات الرياصي، دط، الجزائر، 2012.
54. ياغي إسماعيل أحمد : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 1998.
55. ياغي إسماعيل وشاكر محمود : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، دار المريخ، دط، الرياض، 1993، ج2.
- 2- الموسوعات والقواميس :
1. بو الصفصاف عبد الكريم وآخرون : معجم أعلام الجزائر في القرنين 19- 20، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، دط، عين مليلة الجزائر، 2004.
2. حمدان محمد وآخرون : الموسوعة الصحفية العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دط، تونس، 1995، ج4.
3. الزركلي خير الدين : الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، دار الملايين، ط15، بيروت لبنان، ماي 2002، ج3، ج6، ج7.
4. عجيل أمل : موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية 19- 20، Edito Creps، دط، د م ن، 1998-1999.

5. الكيالي عبد الوهاب : موسوعة السياسة ، دار الهدى للنشر ، دط، بيروت لبنان، د ت، ج1، ج2، ج3.
6. ناصر محمد : الموسوعة التاريخية للشباب عمر راسم المصلح الثائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، دط، الجزائر، 1984.
7. نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، ط2، بيروت لبنان، 1980.
- 3- الرسائل الجامعية :
1. بالحاج ناصر : " مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري (1912- 1916) " ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ المعاصر)، تحت إشراف حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، نوقشت في 2004 / 2005.
2. بن رابح سليمان : " العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين (1919 - 1939) " ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف صالح فركوس، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، نوقشت في 2007 / 2008 .
3. تاونزة محفوظ : " القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية من 1914 إلى 1948 " ، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عمار بن سلطان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، نوقشت في 2001 / 2002.
4. فايد بشير : " قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شبيب أرسلان دراسة تاريخية وفكرية مقارنة الجزء الأول " ، (رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، نوقشت في 2009 / 2010.
5. موسى بن موسى : " الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900- 1939) " ، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

والمعاصر)، تحت إشراف الدكتور أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري
قسنطينة، نوقشت في 2005 / 2006.

4- المقالات :

1. عقيب محمد السعيد : " أضواء على مشاركة أهل سوف في المقاومة الشعبية
للإحتلال الإيطالي بليبيا "، **مجلة العهد الثقافي**، المركز الجامعي بالوادي، العدد الثاني،
جوان 2005.

2. الغاشي مصطفى : " فكرة الجامعة الإسلامية من خلال النور اللامع في بيان
الأصل الجامع لإبراهيم السنوسي القرن 19"، ضمن كتاب العثمانيون في المغرب من
خلال الأرشيقات المحلية والمتوسطة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1،
الرباط المغرب، 2005.

3. مهديد إبراهيم : " الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال
الصحافة الجزائرية : الحق الوهراني أنموذجا (1911- 1912) "، **مجلة عصور**،
وهران، عدد 6 - 7، جوان - ديسمبر 2005 .

الحمد لله رب العالمين
صلى الله عليه وسلم

فهرس الأعلام والأماكن

أولا : فهرس الأعلام

أ -

بن محي الدين الأمير عبد القادر : 35،

41، 82، 83.

الإبراهيمي البشير : 51، 53، 58، 68.

بن الأمير عبد القادر الأمير علي :

35.

ابن القيم : 68.

ابن تيمية : 68.

بن الأمير عبد القادر عمر : 94، 95.

ابن مصطفى محمد الخوجة : 39، 43،

بن الأمير عبد القادر محمد ومحي الدين

44، 46، 47، 52، 57، 65.

: 20، 41.

أبو اليقظان : 53، 59، 62، 63.

بن الشنب محمد : 43.

آرسلان شكيب : 28، 55، 59، 60.

بن الموهوب المولود : 43، 46.

الأركوبي خيري بن عون : 80.

بن باديس عبد الحميد : 51، 57، 58،

أطفيش إبراهيم : 95، 96.

64، 68، 70، 86.

بن سماية عبد الحليم عبد الحليم : 38،

الأفغاني جمال الدين : 18، 19، 20،

43، 44، 46، 47، 65.

21، 22، 23، 26، 28، 40، 41،

56، 57، 62، 65، 67.

بن عاشور محمد الطاهر : 57.

ب -

بن قدور عمر : 43، 57، 60، 61،

الباروني سليمان : 78، 83.

79، 95، 96.

بسيس جوليت : 67.

بن محمد الصالح لفقون الزواوي : 94.

بيكر كارل : 82.

بيوض إبراهيم : 66.

- ت -

- ش -

تريبي فلييب : 67.

شوطان : 97.

تيرمان لويس : 41.

الشريف الهاشمي : 78.

- ج -

- ع -

جونار شارل : 41، 42، 90، 91.

عباس فرحات : 70.

- ح -

الحفناوي أبو القاسم : 42.

عبد الحميد الثاني (سلطان عثماني) :
12، 20، 22، 24، 25، 32، 34،
35، 36، 48.

- د -

دبوز محمد علي : 66، 95.

عبد المجيد (سلطان عثماني) : 74.
عبد محمد : 19، 23، 31، 38، 39،
40، 41، 42، 44، 45، 46، 47،
48، 50، 51، 52، 53، 55، 57،
62، 65، 66، 67، 68.

دييارمي : 81.

- ر -

راسم عمر : 43، 45، 95.

العقبي الطيب : 51، 58.

رشاد محمد الخامس (خليفة عثماني) :
84.

العقون إبراهيم : 44.

- غ -

رضا محمد رشيد : 24، 25، 38، 42،

غليوم : 84 ، 85.

44، 46، 51، 52، 53، 54، 55،

56، 58، 60، 65، 66، 67.

- ك -

كامل مصطفى : 27، 28، 55.

- س -

كمال مصطفى : 25، 86. المدني أحمد توفيق : 59، 62.

الكواكبي عبد الرحمان : 26، 27، 41. مراد علي : 67. 55.

المطيعي محمد بخيت : 57.

- م -

الميلي مبارك : 87.

- ن -

المجاوي عبد القادر : 38، 43، 57. 95، 66.

ناصر محمد : 59.

النخيلي محمد : 57.

ثانيا : فهرس الأماكن

- أ -

بخارة : 33.

الأستانة : 21، 61، 62، 80، 89.

بلغاريا : 33.

ألمانيا : 28، 81، 82، 83، 84، 92. 93، 94.

بغداد : 39.

برقة : 79.

أسطنبول : 32، 33، 75، 90.

الإسكندرية : 42، 55.

برلين : 31، 83.

ألبانيا : 76.

بريطانيا : 80، 95.

الأغواط : 95.

البليدة : 32.

أوربا : 29، 33، 42، 56.

بيروت : 33، 41، 89.

إيطاليا : 13، 75، 76، 78، 79.

- ب -

- ت -

باريس : 19، 94.

تلمسان : 34، 77، 97.

البحر الأسود : 12.

تونس : 12، 32، 37، 41، 42، 57،	روسيا : 33، 80.
58، 80.	- ز -
تبسة : 70.	زاوية : 78.
تركيا : 19، 35، 40، 91، 93.	- س -
تيارت : 32.	سطيف : 34.
- ج -	السودان : 17.
الجزائر : 12، 20، 29، 31، 32،	سوريا : 20، 34، 39، 94، 95.
33، 34، 35، 36، 37، 38، 39،	- ش -
40، 41، 42، 43، 44، 45، 46،	الشرق الأدنى : 35، 36، 44، 49.
47، 48، 50، 51، 52، 53، 57،	شمال أفريقيا : 81، 82، 83.
58، 60، 61، 65، 66، 67، 68،	- ص -
69، 70، 71، 74، 76، 77، 78،	صربيا : 33.
79، 81، 85، 88، 89، 90، 92،	- ط -
93، 95، 96، 98.	جزيرة صقلية : 47.
- ح -	طرابلس : 21، 76، 77، 79.
حمص : 34.	- ع -
حجاز : 19، 59، 61، 68.	العالم الإسلامي : 21، 26، 27، 29،
- د -	36، 40، 51، 52، 55، 56، 58،
دمشق : 33، 34، 41، 59، 83.	59، 61، 62، 63، 64، 74، 88،
- ر -	91، 93، 98.
	عنابة : 80.

عين تغروت : 90.	المدينة : 32.
عين ماضي : 95.	مليانة : 34.
- غ -	مرسيليا : 42.
غدامس : 78.	المدينة المنورة : 58.
- ف -	مستغانم : 77.
فرنسا : 37، 39، 40، 42، 47، 65، 70، 71، 80، 81، 82، 83، 84، 87، 88، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97.	مصراته : 78.
	المشرق العربي : 35، 36، 40، 47، 48، 49، 57، 66، 90، 94، 98.
- ق -	مصر : 16، 19، 27، 28، 42، 52، 57، 55، 87، 89.
القدس : 88.	المغرب الأقصى : 13.
قسنطينة : 34، 43، 46، 69، 70، 96.	المغرب العربي : 60.
القسنطينية : 13، 80، 83.	المغرب : 36، 57، 58.
القلمون : 59.	مكة : 87، 94.
- ل -	- ن -
لبنان : 20، 21، 28، 32، 59.	النمسا : 33.
ليبيا : 16، 17، 36، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 83، 88.	- ه -
	الهند : 19.
- م -	- و -

وادي ميزاب : 50، 55، 78.

وهران : 77.

وادي سوف : 78.

- ي -

اليمن : 15، 76.

اليونان : 25، 33.

حاجات ما سر
الغمر ما سر
صا

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	06
الفصل الأول : الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها	12
أولا : الحركات الإصلاحية التي سبقت ظهور حركة الجامعة الإسلامية	13
ثانيا : مفهوم الجامعة الإسلامية وأبرز دعائها	18
الفصل الثاني : عوامل إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر	29
أولا : دور الدعاية العثمانية والمهاجرين الجزائريين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر	29
ثانيا : دخول الصحافة المشرقية إلى الجزائر	36
ثالثا : زيارة محمد عبده للجزائر في 1903 وآثارها	41
الفصل الثالث : أثر فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر	50
أولا : أثر رواد الجامعة الإسلامية في الجزائر	50
ثانيا : المصلحون الجزائريون وفكرة الجامعة الإسلامية	56
1. المؤثرات المساعدة للمصلحين في التعرف على فكرة الجامعة الإسلامية	56
2. الجامعة الإسلامية في تصور رواد الإصلاح بالجزائر	60

65	3. دور المصلحين الجزائريين في نشر فكرة الجامعة الإسلامية بالجزائر
74	الفصل الرابع : أهم القضايا التي جسدت التضامن الفعلي للجامعة الإسلامية ورد فعل الإستعمار الفرنسي منها
74	أولا : أهم القضايا التي تضامن فيها الجزائريون مع الخلافة العثمانية
75	1. الإحتلال الإيطالي لليبيا 1911
80	2. الحرب العالمية الأولى 1914
85	3. مسألة إلغاء الخلافة العثمانية 1924
88	ثانيا : رد فعل السلطات الفرنسية عل دعاية الجامعة الإسلامية بالجزائر
100	- الخاتمة
103	- الملاحق
111	- قائمة المصادر والمراجع
120	- الفهارس العامة
121	1. فهرس الأعلام والأماكن
128	2. فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ